

كامل كيلاني



فقرصن شكسبير

الملك لير



DVDARAB

دارالمعارف

کامل کیلانی

قصص شکسپیئر

المَلِکُ وَاللَّیْرُ

الطبعة الثانية عشرة



دارالمعارف

تمهيد

١ - قصّة عجوز

كَانَتْ مَمْلَكَةٌ « إِنجِلْتَرَة » - حِينَ وَقَعَتْ حَوَادِثُ هَذِهِ
الْقِصَّةِ - تَمَرُّ بِأَحْدَاثٍ وَخُطُوبٍ (مَصَائِبَ) ، لَا عَهْدَ لَهَا بِأَمْثَالِهَا
مِنْ قَبْلُ . وَإِلَيْكَ مَا تَقُصُّهُ عَجُوزٌ كَيْفَتْ (زَادَتْ) عَلَى خَمْسِينَ
وَمِائَةٍ مِنَ السَّنِينَ . قَالَتْ الْعَجُوزُ :

« لَقَدْ عِشْتُ أَكْثَرَ مِنْ مِائَةٍ وَخَمْسِينَ عَامًا . وَرَأَيْتُ فِي طُفُولَتِي
- مِنَ الْكَوَارِثِ وَالْمِحَنِ - مَا لَمْ يَخْطُرْ لِإِنْسَانٍ عَلَى بَالٍ . وَلَا زِلْتُ
أَذْكُرُ تِلْكَ الْعَوَاصِفَ الْهَوُوجَ حِينَ أَكْتَسَحَتْ الْغَابَاتِ ، ثُمَّ أَغْشَاهَا
فَيْضَانُ الْأَنْهَارِ ؛ فَأَغْرَقَ مِنَ الْبِلَادِ مَا أَغْرَقَ ، وَأَهْلَكَ مِنَ الْحَرْثِ
(الزَّرْعِ) وَالتَّنَلِ (الْأَوْلَادِ) مَا أَهْلَكَ !

لَا أَزَالُ أَذْكُرُ - إِلَى الْيَوْمِ - ذَلِكَ الْعَهْدَ الَّذِي شَهِدْتُهُ فِي
طُفُولَتِي ، وَأَتَمَثَّلُ (أَتَصَوِّرُ) حَوَادِثَهُ الْبَعِيدَةَ ، كَأَنَّمَا وَقَعَتْ أَمْسَ .
وَلَكِنَّ مَا حَدَثَ فِي هَذَا الْعَامِ ، قَدْ مَعَا - أَوْ كَادَ - كُلَّ

٤
ما استعظمته من الأحداث الماضية . وليست تلك المصائب التي
حلت ببلادنا - في ذلك الزمن البعيد - إلا شيئاً يسيراً قهراً
(لا قيمة له) ، إذا قيسَت بما وقع في هذا العام .

فقد تآلَّبت (تجمعت) قوى الشر ، واجتمعت الكوارث ،
وتتابعت الأحداث ، وتفننت الأبالسة والشياطين في إغراء الناس
بضروب (أصناف) من الظلم والقسوة والأنايئة (حب الذات) ،
وما إلى ذلك من ألوان الشر ، وأفانين الشقاء (أنواع الشدة والصبر) .
وفي شمال « إنجلترا » طفت أمواه البحيرات ، وأغرقت من
السكان والمساكين آلافاً .

ثم جاء الشتاء ؛ فخرجت الذئاب وأصناف الوحوش الضارية
من مكامنها ، وألهمت الأغنام في رائحة النهار ، دون أن تبالي
كائناً كان .

وعانت الخنازير البرية في أزقة القرى ؛ فملأت القلوب ذعراً
(خوفاً) ، وقست قلوب الناس ، ونمت بينهم بذور الشقاق
والترقة ، وحل الخصام محل الوئام (الوفاق) . وسرى الخلف

٥
بين الأزواج ، ثم انتقلت عدواه إلى الأطفال ؛ فأصبحت البلاد
جحيماً لا يطاق .

٢ - مهرجان الملك

هذا بعض ما قصته عجوز ذلك الزمان ، ورأته رؤية العيان .
وقد توخيت (تعمدت) أن أثبت لكم - أيها الأصدقاء الأعزاء -
لتعرفوا متى وقعت حوادث هذه القصة ؟ وفي أي عهد - من عهود
الاضطراب - مثلت فصولها المخزنة ؟

وكان بدء هذه الأحداث المفزعة يوم المهرجان الذي أقامه
الملك « لير » في قصره الكبير ، منذ ألف عام .

وقد اعتزم الملك أن يقسم ملكه العظيم بين بناته الثلاث ،
ويرفع عن كاهله أعباء الملك (أثقال الحكم) ، ويريح شيخوخته ،
ويقضي أيامه الأخيرة في أمن وسلام ، وادع الخلد (مستريح
القلب) ، ناعماً بال .

وكانت الأنوار ساطعة في كل مكان من قصر الملك ،

تَنَعَّسُ أَضْوَاؤُهَا الْبَهِيَّةُ عَلَى أَعْمَدَةِ الْقَصْرِ الذَّهَبِيَّةِ ، وَتَصَاوِيرِهِ
الْمُبْدَعَةِ الْفَنِّيَّةِ . وَهِيَ تُمَثِّلُ أَنْتَصَارَ الْمَلِكِ « لِير » عَلَى أَعْدَائِهِ ، فِي
زَمَنِ صِبَاهُ .

الفصل الأول

١ - عَهْدُ الشَّيْخُوخَةِ

تَبْدَأُ هَذِهِ الْقِصَّةُ حِينَ بَلَغَ الْمَلِكُ « لِير » الثَّمَانِينَ مِنْ عُمُرِهِ ،
وَأَصْبَحَ شَيْخًا يَجْمَعُ - إِلَى ضَعْفِ الْجِسْمِ - خَطَلَ الرَّأْيِ (فَسَادُ
التَّفْكِيرِ) ، وَسُوءَ التَّذْيِيرِ .

وَكَانَ الشَّيْخُ « لِير » - فِي هَذِهِ الْمَرَحَلَةِ الْأَخِيرَةِ مِنْ سِنِيهِ -
شَدِيدَ السَّامَةِ وَالضَّجَرِ . وَقَدْ زَهَّدَتْهُ الشَّيْخُوخَةُ فِي كُلِّ شَيْءٍ مِنْ
مَبَاهِجِ الْحَيَاةِ : فَلَمْ يَبْقَ لَهُ مِنْ أُمْنِيَّةِ (رَغْبَةٍ) يَرْجُوهَا ، وَيَأْنَسُ
بِهَا فِي الْحَيَاةِ إِلَّا بَنَاتُهُ الثَّلَاثُ .

وَكَانَ الْمَلِكُ « لِير » يُحِبُّ هَؤُلَاءِ الْبَنَاتِ حُبًّا شَدِيدًا ، وَلَا يُطِيقُ
الصَّبْرَ عَلَى بَعَادِهِنَّ .

٢ - بَنَاتُ الْمَلِكِ « لِير »

وَكَانَتْ فَتَاتَانِ - مِنْ بَنَاتِهِ الثَّلَاثِ - قَدْ زُوِّجَتَا أَمِيرَيْنِ . أَمَّا الثَّالِثَةُ

وَكَانَ الْمُتَأَمِّلُ لَا يَمْلِكُ نَفْسَهُ مِنَ الْحَسْرَةِ وَالْأَسَفِ ، كُلَّمَا وَصَّتْ
عَيْنَاهُ عَلَى هَذَا الْفَتَى الْقَوِيِّ « لِير » ، الْجَرِيءِ الْبَاطِشِ (الْآخِذِ بَعُنْفٍ) ،
الَّذِي تُمَثِّلُهُ تِلْكَ التَّصَاوِيرُ الْمُعْجَبَةُ ، وَقَابَلَهَا بِهَذَا الشَّيْخِ « لِير » ،
الْمَائِلِ (الْوَاقِفِ) فِي الْحَفْلِ ، وَقَدْ جَلَّلَ الشَّيْبُ رَأْسَهُ ، وَقَوَّسَتْ
قَنَاتُهُ السُّنُونُ (حَنَتْ الْأَعْوَامُ ظَهْرَهُ) ؛ فَانْتَظَمَتِ الرَّغْشَةُ يَدَيْهِ
النَّاحِلَتَيْنِ ، وَأَصْبَحَ يَمْشِي إِلَى الْفَنَاءِ (الْمَوْتِ) ، بِخُطَوَاتٍ سَرِيعَةٍ .
وَقَدْ اجْتَمَعَتْ فِي ذَلِكَ الْمَهْرَجَانِ حَاشِيَةُ الْمَلِكِ وَقَوَّادُهُ وَسَرَاةُ
الْبِلَادِ (رُؤَسَاؤُهَا) ، وَجَلَسَ إِلَى جَانِبِهِ وَزِيرُهُ الْمُخْلِصُ الْأَمِينُ :
« كَنْتُ » ، وَنَدِيمُهُ (صَاحِبُهُ) الْمُخْتَارُ : « يَهْلُولُ » .

— وهى صُغْرَاهُنَّ — قَدْ جَاءَ الْآنَ مَلِكُ « فَرَنْسَا » وَأَحَدُ أُمَرَاءِ « إِنْجِلْتَرَة » ، وَنَزَلَا ضَيْفَيْنِ عَلَى الْمَلِكِ « لِير » وَأَقَامَا فِي قَصْرِه ، وَكَانَ كِلَاهُمَا رَاغِبًا فِي أَنْ يَتَزَوَّجَ « كُرْدِلِيَا » : صُغْرَى بَنَاتِهِ . وَأَمَرَ الْمَلِكُ « لِير » بِاسْتِدْعَاءِ بَنَاتِهِ الثَّلَاثِ ، وَقَالَ لَهُنَّ :
« لَقَدْ عَنَّا لِي — يَا بَنَاتِي الْعَزِيزَاتِ — أَنْ أَقِيمَ مُلْكِي بَيْنَكُنَّ . وَلَكِنِّي أَحِبُّ أَنْ أَعْرِفَ — قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ — مَدَى (مُنْتَهَى) حُبِّكِ إِيَّائِي ، لِأَرَى رَأْيِي . »

٣ — حَدِيثُ « جُنْرِيل »

فَتَقَدَّمَتْ كُبْرَى بَنَاتِهِ ، وَاسْمُهَا « جُنْرِيل » ؛ وَكَانَتْ — عَلَى الْحَقِيقَةِ — امْرَأَةً سَوَاءً (خَيْثَةً) ، تَجْمَعُ — إِلَى رِيَائِهَا النَّادِرَ — لَوْ مَا وَخْبًا عَظِيمَيْنِ . وَلَمْ تَكُنْ تُضْمِرُ لِأَبِيهَا شَيْئًا مِنَ الْحُبِّ ، وَلَكِنَّمَا رَأَتْ أَمَامَهَا فُرْصَةً سَانِحَةً لِتَمْلِيْقِهِ (مُخَادَعَتِهِ) وَالتَّوَدُّدِ إِلَيْهِ ، طَمَعًا فِي الْمِيرَاثِ الَّذِي لَوْحَ (أَشَارَ) لَهَا بِهِ .
فَقَالَتْ لَهُ ، وَهِيَ تَتَظَاهَرُ بِالْحُبِّ وَالْوَفَاءِ وَالْحَنُوِّ :

« إِنْ حُبِّكَ (مَحَبَّتِي لَكَ) — يَا أَبِي — لِأَجَلٍ وَأَعْظَمُ مِنْ أَنْ تُعَبِّرَ عَنْهُ الْأَلْفَاظُ . كَيْفَ لَا ، وَأَنْتَ أَعَزُّ عَلَيَّ مِنْ إِنْسَانٍ عَيْنِي (سَوَادِهَا وَحَدَقَتِهَا) ، وَأَثْمَنُ لَدَيَّ مِنْ نَفْسِي ، وَحُرِّيَّتِي وَجَمَالِي ، وَصِحَّتِي ! »

فَابْتَهَجَ الْمَلِكُ « لِير » بِسَمَاعِ هَذَا الثَّنَاءِ الزَّائِفِ (الْمَفْشُوشِ) ، وَقَالَ لَهَا مَسْرُورًا :
« مَا دُمْتَ تُجِيبُنِي إِلَى هَذَا الْحَدِّ ، فَإِنِّي جَدِيرٌ بِأَنْ أَمْنَحَكَ ثُلُثَ مُلْكِي . فَأَنْتِ — فِيمَا أَرَى — حَقِيقَةٌ بِهَذِهِ الْمُكَافَأَةِ . »

٤ — حَدِيثُ « رِيْجَان »

ثُمَّ انْفَتَحَ إِلَى بِنْتِهِ الْوُسْطَى قَائِلًا :

« إِلَى أَيِّ حَدِّ بَلَغَتْ مَحَبَّتُكَ أَبَاكَ ، يَا رِيْجَانُ ؟ »

فَقَالَتْ لَهُ مُرَائِيَّةً مُتَوَدِّدَةً (مُظْهِرَةً مِنَ الْمَحَبَّةِ وَالْمَوَدَّةِ خِلَافَ مَا هِيَ عَلَيْهِ) : « إِنِّي أُحِبُّكَ — يَا أَبَتَاهُ — قَدْرَ مَا تُحِبُّكَ أُخْتِي « جُنْرِيل » . إِنْ لَمْ أَزِدْ عَلَيْهَا ؛ فَلَيْسَ لِي فِي هَذِهِ الدُّنْيَا كُلِّهَا شُغْلٌ يَشْغُلُنِي عَنْ

ذَكَرَكَ ، أَوْ يَحْوِلُنِي عَنْ حُكِّكَ ، أَوْ يُنْسِينِي بَرِّكَ بِي . وما أذكر
 أَنِّي غَفَلْتُ عَنْ التَّفَكُّيرِ فَيْكَ - يا أَبَتِ - لَحْظَةً وَاحِدَةً .
 فَصَرَحَ الْمَلِكُ « لِير » ، وَتَمَلَّكَهُ الرَّهْوُ وَالْإِعْجَابُ ، وَتَطَلَّقَتْ
 أَسَارِيرُهُ (تَهَلَّلَ وَانْفَرَجَتْ تَجَاعِيدُهُ) بِهَجَّةٍ وَحُبُورٍ بِمَا سَمِعَ ، وَأَثْنَى
 عَلَى بِنْتِهِ « رِيحَان » أَحْسَنَ الثَّنَاءِ ، وَشَكَرَ لَهَا هَذَا الْإِخْلَاصَ النَّادِرَ ،
 وَأَكْبَرَ فِيهَا وَفَاءَهَا الْعَجِيبَ ، ثُمَّ قَالَ لَهَا :
 « لَكَ مِنِّي - أَيَّتُهَا الْبِنْتُ الْبَارَّةُ - ثُلُثُ مُلْكِي . فَأَهْنِي بِهِ ،
 فَأَنْتِ بِهَذِهِ الْمُكَافَأَةِ جَدِيرَةٌ .
 وَأَكْبَرَ الْمَلِكُ ذَلِكَ الْحَنُوءَ ، وَاشْتَدَّ إِعْجَابُهُ بِمَا سَمِعَ ، وَشَكَرَ
 لِابْنَتِهِ هَذَا الْحُبَّ النَّادِرَ ، وَالْوَفَاءَ الْعَجِيبَ .

ه - حَدِيثُ « كُرْدِلِيَا »

ثُمَّ التَفَتَ الْمَلِكُ « لِير » إِلَى فَتَاتِهِ الصُّغْرَى : « كُرْدِلِيَا » ، وَقَالَ لَهَا :
 « لَقَدْ جَاءَ دَوْرُكَ - يَا نُورَ قَلْبِي - وَلَسْتُ أَشْكُ فِي أَنَّ حُبَّكَ
 إِنِّي أَعْظَمُ مِنْ حُبِّ أُخْتَيْكَ . وَقَدْ أَدَّخَرْتُ (اخْتَفَضْتُ) لَكَ

ثُلُثَ الْمُلْكِ ، وَهُوَ أَخْصَبُ بُقْعَةٍ فِي مَمْلَكَتِي وَأَغْنَاهَا فَحْدُ ثِنْتِي
 بِمِقْدَارِ مَا تُضْمِرُنِيهِ لِي (مَا تُخْفِيهِ فِي ضَمِيرِكَ) مِنْ حُبِّ وَوَلَاءٍ .
 قَالَتْ لَهُ « كُرْدِلِيَا » : « لَيْسَ لَدَيَّ مَا أُحَدِّثُكَ بِهِ ، يَا أَبَتَاهُ ! »
 قَالَ لَهَا مَدْهُوشًا : « مَاذَا تَقُولِينَ ؟ أَلَيْسَ لَدَيْكَ مَا تُحَدِّثُنِي بِهِ ؟ »
 قَالَتْ لَهُ « كُرْدِلِيَا » : « لَا شَيْءَ عِنْدِي ، يَا أَبَتَاهُ . »
 قَالَ لَهَا الْمَلِكُ « لِير » : « كَأَنَّكَ لَا تُحِينُنِي ، أَيَّتُهَا الْفَتَاةُ ! أَعِيدِي
 عَلَيَّ مِسْمَعِي جَوَابَكَ الْأَخِيرَ . »
 قَالَتْ « كُرْدِلِيَا » : « إِنِّي أَحِبُّ جَلَالَتَكَ بِمِقْدَارِ مَا يَحْتَمِيهِ عَلَى
 الْوَاجِبِ الْأَبْوَى ، لَا أَكْثَرُ ، وَلَا أَقَلَّ . »

٦ - ثَبَلُ « كُرْدِلِيَا »

وَأَمَّا قَالَتْ « كُرْدِلِيَا » ذَلِكَ ، وَلَمْ تَصْنَعْ لَهَا عِبَارَاتِ الْمَدِيعِ
 وَالثَّنَاءِ الْخَلَابَةِ - كَمَا فَعَلَتْ أَخْتَاهَا مِنْ قَبْلُ - لِأَنَّهَا أَتَتْ (كَرِهَتْ)
 أَنْ تَمْلِكَ مَسَالِكَ الرِّيَاءِ ، وَسَمَتْ بِنَفْسِهَا عَنْ أَنْ تَكُونَ مُخَادِعَةً مُمْلَقَةً
 (قَوْلَ بِلْسَانِهَا مَا لَيْسَ فِي قَلْبِهَا) .

وكانت على يقين من لو لم أختينها وخبت طويتهما (نيتيها) ؛
فاحتقرت منهما ذلك الثناء الزائف ، الذي نطقا به ، لتخدعا أباهما
عن حقيقة نفسيهما ، رغبة في أن تظهرنا بملكه العظيم .

وكانت « كزديا » عارفة أن أختينها تنويان الغدر بأبيهما الشيخ ،
وأنهما لا تمنحضانه الود (لا تضمران له صادق المودة) ، ولا
تؤديان له شيئا من واجبات الأبوة عليهما ، وإن كانتا قد أغرقناه
بعبارات المديح والثناء التي لا طائل تحتها (لا فائدة منها) ، لتظهرنا
بغير مخبرهما (باطنيهما) الحقيقي .

ثم قالت « كزديا » مستأنفة : « ما أنا إلا بنتك . وقد أوجدتني
من العدم ، وخصصتني بحبك وعطفك . وليس لي إلا أن أقدر ذلك
لك ؛ فأبادلك حبا يحب ، وعظفا برعاية . فإن واجب أبوتك
يقضي على أن أكون وفية لك ، بارة بك ، وأن أطيع أوامرك ،
وأحبك وأجلك الإجلال كله . »

٧ - غضب « لير »

كان الملك « لير » يفرد (يخص) بنته الصغيرة « كزديا »

بحب عظيم ، ويؤثرها (يفضلها) على أختينها الكبرى والوسطى ،
ولا يطيق فراقها . وكان يرهب أذنيه لسماع آيات الإعجاب به ،
والثناء عليه ، ويحبها متفتنة في صوغ عبارات الولاء (الإخلاص) ،
أكثر من أختينها . فلما سمع منها ذلك الكلام الفاتر ، خاب
أمله فيها ، وامتلات منه سخطا (غضبا) عليها ، وتبرما (تضرعا)
بها ؛ لأنه ظن أن حبا يناء أقل من حب أختينها .

ولو عرف الخبر (لو علم الحقيقة) ، لأيقن أن « كزديا »
أخلص إنسان له ، وأبرأ ابنه به ، وأنها لم تشأ أن تتجر بحبها
أباهما ، كما فعلت أختاها .

ولو أن أباهما سألها مثل هذا السؤال ، في غير هذا الوقت ، لأفضت
إليه (صرحت له) بما تضمر له من وفاء وبر لا مثيل لهما ؛

أما وقد سألها في ذلك الوقت الذي يقسم فيه ميراثه بين بناته
الثلاث ، ورأت من رياء أختينها ما رأت ؛ قد سمت بها عزة نفسها ،
وأبى لها إياها وسمو أخلاقها أن تجاريهما في هذا التملق ، وتندفع
معهما في ذلك التلقيق .

أَمَّا أَبُوها « لير » فَقَدْ أَنْتَهُ الشَّيْخُوخَةُ وَاجِبَاتِ الْحَزْمِ ، وَدَفَعَهُ
الْهُتْرُ (مَضْفُ الْقُل) إِلَى سُوءِ الرَّأْيِ ، وَخَطَلِ التَّقْدِيرِ (خَطِّهِ) ؛
فَلَمْ يَرِ فِي كَلَامِ « كُرْدِلِيَا » إِلَّا زَهْوًا وَكِبْرًا وَتَعَالِيًا وَغَطْرَسَةً .
وَمَا هُوَ - مِنْ شَيْءٍ - مِنْ هَذِهِ الْمَعَانِي بِسَبِيلٍ .

وَتَمَادَى (اسْتَمَرَّ) « لير » فِي غَضَبِهِ ، وَأَسْلَمَ لِسُخْطِهِ الْخَنَانَ (تَرَكَ
لِنَفْسِهِ الزَّمَامَ) ؛ فَانْتَهَرَ « كُرْدِلِيَا » (زَجَرَهَا) ، وَأَمَرَهَا بِالِاسْتِخْفَاءِ
عَنْ نَاطِرَيْهِ فِي الْحَالِ ، ثُمَّ قَسَمَ الثُّلُثَ الْبَاقِيَ مِنْ مُلْكِهِ - الَّذِي كَانَ
يَدَّخِرُهُ لَهَا - بَيْنَ أُخْتَيْهَا الْغَادِرَتَيْنِ .

٨ - مِهْرَجَانُ الْمَلِكِ

وَأَقَامَ الْمَلِكُ « لير » مِهْرَجَانًا عَظِيمًا ، جَمَعَ فِيهِ سَرَاةَ الدَّوْلَةِ
وَأَعْيَانَهَا ، وَأَعْلَنَ أَمَامَهُمْ مَا قَرَّرَهُ وَاشْتَرَطَهُ . وَلَمْ يَحْتَفِظْ لِنَفْسِهِ
بِشَيْءٍ مِنَ الْمَظَاهِرِ إِلَّا بَلَقَبِ الْمَلِكِ ، وَبِمَايَةِ فَارِسٍ يَكُونُونَ لَهُ
حَاشِيَةً ، عَلَى أَنْ يَنْزِلَ ضَيْفًا عَلَى إِحْدَى بَنَاتِهِ شَهْرًا ، ثُمَّ يَقْضَى
الشَّهْرَ التَّالِيَ فِي قَصْرِ الثَّانِيَةِ ، ثُمَّ يُقِيمَ - فِي الشَّهْرِ الثَّالِثِ - فِي قَصْرِ



الأولى ، فإذا جاء الشهر الرابع عاد إلى الأخرى ، وهكذا حتى ينتهي أجله .

وقد عجبت الحاشية من هذا القرار ودهشوا له . ولكنهم لم يجروا على مخالفته ، ولم يستطيعوا أن يعارضوا الملك في رأيه ، ما خلا وزيره الحكيم الراشد « كنت » ، الذي أقدم على النصيح له بالإقلاع عن فكرته الخاطئة (تركها) ؛ فكان نصيبه - على صديق نصيحته - التهديد والوعيد . فلم يخش الوزير الناصح تهديد الشيخ « لير » ، ولم يخف وعيده .

فاغتاظ الشيخ « لير » ، وجعل يقول له : « إن القوس محضرة ، وقد أعدت فيها السهم . وما هي إلا لحظة حتى ينطلق السهم القاتل منها . فاحذروا أن تكون هدفا له فتهلك . »

ثم أنشد ، يندره ويتوعده :

« انحنى القوس ، وكادت ترمي
وفوق السهم ، وكاد يصي
فلا أجذك هدفا ليعي . »

فأجابه الوزير الشجاع : « إذا اندفع سهم الموت إلى قلبي فمزقه ، فأني لا أخشى شيئا . ولتفعل بي أقدار الدهر وأحوال الزمن ما تشاء . » ثم أنشد :

« إن ينطلق سهم الردى ، من الوزير
إلى قوادي مضميا ، فينفطر
فلست هيأبا تصاريف القدر . »

لصاح فيه الشيخ « لير » : « ونلك أيها النقي . ألا تطلع عن لجأجتك وعنادك ؟ » فأجابه الوزير محزونا يحذر عاقبة أمره ، ويظهره على هول ما يعتزم إقاده : « إنك ترمي نفسك في حفرة الظلم والاعتداء . فعلى مهلك . إن ما تفعله شيء عظيم ، وإن الظلم آخرته سيئة ، وخطره جسيم . » ثم أنشد :

« في هذه البغي أراك تنحدر
فلا تسارع ، إنها إحدى الكبر
إن طريق البغي مخشى الخطر . »

فاشتد غضب الملك وسخطه على وزيره ، وأمر بطرده وتقيده من

المدينة ، وتوَعَّدُهُ بِالْقَتْلِ إِذَا بَقِيَ فِي مَمْلَكَتِهِ بَعْدَ الْيَوْمِ .
فَقَالَ الْوَزِيرُ : « إِنِّي أَخْلَصْتُ لَكَ فِي نَصِيحَتِي : فَلْتَتَّقِ بِمَا أَقُولُ .
وَالنُّصْحُ أَثْمَنُ مَا يُحْفَظُ ، وَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى الْوَفَاءِ وَالْإِخْلَاصِ فِي أَوْقَاتِ
الشَّدَّةِ وَحَوَادِثِ الزَّمَنِ . » ثُمَّ أُنْشَدَ :

« مَحْفُظُكَ النُّصْحُ ؛ فَحَافِظِي ، وَاعْتَبِرِي
وَاعْلَمْ بِأَنَّ النُّصْحَ أَغْلَى مُدْخَرٍ
مِنْ صَادِقِ الْوُدِّ ، إِذَا الدَّهْرُ غَدَرَ .
ثُمَّ خَرَجَ مَحْزُونًا مَقْهُورًا ، وَقَدْ أَدْرَكَ أَنَّ آخِرَةَ مَلِيكِهِ قَدْ قَرُبَتْ ،
وَأَنَّ مَضَرَّعَهُ وَشِيكَ (هَلَاكُهُ مُسْرِعٌ إِلَيْهِ) .

٩ - وَدَاعُ « كَرْدِلِيَا »

قُلْنَا - آتَقَا - إِنَّ خَاطِبَيْنِ قَدْ جَاءَا يَرْغَبَانِ فِي الزَّوْاجِ بِالْأَمِيرَةِ
« كَرْدِلِيَا » ، وَهِيَ مَلِكَةُ « فَرَنْسَا » ، وَاحِدُ أَمْرَأَةٍ « إِنْجِلِيرَةِ » .
فَإِذَا الْأَمِيرُ الْإِنْجِلِيرِيُّ ، قَدْ كَفَّ (اِمْتَعَ) عَنْ طَلْبِ الزَّوْاجِ
بِالْأَمِيرَةِ « كَرْدِلِيَا » ، بَعْدَ أَنْ قَدَّتْ حَقَّهَا فِي مِيرَاثِ أَبِيهَا .

وَهُنَالِكَ تَوَجَّهَ مَلِكُ « فَرَنْسَا » إِلَى الْأَمِيرَةِ « كَرْدِلِيَا » ، وَأَصْرَ
(عَزَمَ) عَلَى الزَّوْاجِ بِهَا ، بَعْدَ أَنْ خَذَلَهَا أَبُوهَا وَخَطَبَهَا الْآخَرُ .



وَقَدْ أُعْجِبَ مَلِكُ « فَرَنْسَا » بِصِرَاحَةِ « كَرْدِلِيَا » ، وَأَكْبَرَ فِيهَا
الْعِزَّةَ الَّتِي أَظْهَرَتْهَا فِي تِلْكَ السَّاعَةِ ، إِذْ رَضِيَتْ بِالنُّزُولِ عَنْ نَصِيْبِهَا
فِي الْمُلْكِ ، وَرَأَتْ أَنَّ تَخْرُجَ مِنَ الدُّنْيَا فَقِيرَةً مُعْدِمَةً (لَا تَمْلِكُ

شيئا)، مؤثرة (مفضلة) ذلك على أن تتجر بحب أيها، وتتخذ
سلما إلى مشاركة أختها في الميراث.

وبعد زمن قصير رأى ملك «فرنسا» أن يعود بزوجه
«كردليا» إلى وطنه، فاستأذنته في وداع أختها. وقد فارقتهما
دامعة العين، مخزونة القلب، وأوصيتهما خيرا بأيهما. فأغلظتا لها
القول، وخاشنتاهما في الحديث (اشتدت كل منهما عليها في
الكلام)، وقالتا لها ساخريتين:

«لنا في حاجة إلى توصيتك؛ فليست بأمر من كلتينا به،
وما هو بأكرم عليك منه علينا».

أما أبوها الملك «لير»، فقد قال لزوجها غاضبا:

«اذهب بها إلى حيث شئت، فما أطبق رؤية وجهها بعد الآن».
قال له ملك «فرنسا»: «ليكن ما تشاء. فوداعا».

ثم سافرت «كردليا» - صغرى بنات الشيخ «لير» - مع
زوجها ملك «فرنسا» إلى وطنه، حيث اتخذته لها مقاما (مكانا
يقيم فيه) بعد ذلك اليوم.

الفصل الثاني

١ - في قصر «جنديل».

هدأت نائرة الملك «لير»، بعد أن أقصى (أبعد) بنته المخلصة
الوفية «كردليا» عن مملكته، وهو يحسبها مثال الحقوق (عدم
القيام بالواجب نحو أيها) والمدير والكبرياء.

وذهب الملك على الفور إلى قصر بنته «جنديل». ولكه
ما عثم (ما لبث) أن أدرك حقائق الأشياء التي كان الرياء والتفاق
يسترانها عن ناظره، ويحجبانها عن عينيه. وعرف أن الألفاظ،
المصولة، والمدائح المنمقة (المزخرفة) الزائفة، لا تنفي عن
الحق شيئا.

لقد تملك البلاد - بعد أيها - وظفرت (فازت) بكل
ما منحها إياه من سلطان وقوة، واستتب (استقر) لها الملك؛
فكان أول همها أن تنسك (تغير) لمن أحسن إليها، وتجزيه على
صنيعه المشكور أقبج جزاء، وتكافئه إساءة بإحسان، وعقوبا ببرد،
وعذرا بوقار.

٢ - خَبْتُ « جُزَيْل »

ورأت « جُزَيْلُ » أن أباه قد أصبح - بعدَ أيامٍ قليلةٍ -
مِمْلًا قَبِيلًا لَا يُطَاقُ، وَاسْتَكْثَرَتْ عَلَيْهِ مِائَةُ الْفَارِسِ الَّذِينَ اسْتَبَقَاهُمْ
لِنَفْسِهِ، لِيُرَاقِقُوهُ فِي حَلِّهِ وَتَرْحَالِهِ (فِي إِقَامَتِهِ وَسَفَرِهِ) .
وَأَصْبَحَتْ « جُزَيْلُ » تَلْقَى أَبَاهَا - كُلَّمَا وَقَعَ نَظَرُهَا عَلَيْهِ -
بِوَجْهِ عَبُوسٍ، وَتَقِطُّ حَاجِبِيهَا (تَعْبِسُ) كُلَّمَا نَادَاهَا، وَلَا تُلَبِّي
(لَا تُجِيبُ) لَهُ رَجَاءً، وَلَا تُنْفِذُ لَهُ مَشِيئَةً .

وَاقْتَدَى بِهَا خَدَمُهَا فِي مُعَامَلَةِ هَذَا الشَّيْخِ؛ فَأَصْبَحُوا لَا يُبَلِّغُونَ
لَهُ أَمْرًا، وَلَا يُعَامِلُونَهُ بِغَيْرِ الْإِهْمَالِ وَالِإِخْتَارِ وَقِلَّةِ الْكَرَاهَاتِ .

٣ - وفاء الوزير

أَمَّا الْوَزِيرُ الْوَفِيُّ « كَنْت »، الَّذِي طَرَدَهُ الشَّيْخُ « لِير » مُكَافَأَةً
لَهُ عَلَى صِدْقِ وَفَائِهِ، وَأَمَرَ بِنَفْسِهِ مِنْ مَدِينَتِهِ، فَقَدِ ابْنَى عَلَيْهِ إِخْلَاصَهُ
لِمَلِكِهِ أَنْ يَنْذِرَ كَهْ نَهَبِ الْمَصَائِبِ وَالْأَخْذَاتِ (تَنْهَبُهُ وَتَهْرِسُهُ)،

وَتَهْزَةَ الْخُطُوبِ وَالْكَوَارِثِ (فُرْصَةً لِلْبَلَايَا وَالنَّكَبَاتِ) . فَلَمْ يَخْرُجْ
مِنَ الْمَدِينَةِ؛ وَلَكِنَّهُ غَيَّرَ مِنْ هَيْئَتِهِ، وَبَدَّلَ مِنْ شَكْلِهِ، وَتَزَيَّنَا
بِزِيِّ الْخَدَمِ، ثُمَّ عَادَ إِلَى مَلِكِهِ خَادِمًا أَمِينًا، يَرْعَاهُ وَيَخْرُسُهُ،
وَيَرْقُبُهُ عَنْ كَثِيرٍ (عَنْ قُرْبٍ) .

وَرَضِيَ الْمَلِكُ « لِير » بِهَذَا الْخَادِمِ الْجَدِيدِ، وَهُوَ لَا يَعْرِفُهُ .
وَلَمْ يَنْقُصْ عَلَى عَوْدَتِهِ إِلَى مَلِكِهِ يَوْمَ « كَامِل »، حَتَّى رَأَى خَادِمًا مِنْ خَدَمِ
« جُزَيْل » يُجَادِلُ الْمَلِكَ « لِير »، وَيَسْتَهِينُ بِهِ، لِيَرْضَى بِذَلِكَ
سَيِّدَتَهُ « جُزَيْل » .

فَضَيَّبَ الْوَزِيرُ، وَلَمْ يَحْتَمِلْ وَقَاحَةَ ذَلِكَ الْخَادِمِ الْجَرِيِّ، وَثَارَتْ
ثَائِرَتُهُ (غَضَبُهُ) عَلَيْهِ؛ فَصَفَّاهُ (ضَرَبَهُ) صَفْفَةً كَادَتْ تُذْهِلُهُ
(تُذْهِبُ عَقْلَهُ) وَتُرْزِئِهِ (تُهْلِكُهُ)، جَزَاءً لَهُ عَلَى سَفَاهَتِهِ وَتَطَاوُلِهِ
عَلَى سَيِّدِهِ . فَأَبْشَحَ الْمَلِكُ « لِير » بِوَفَاءِ هَذَا الْخَادِمِ الْجَدِيدِ وَإِخْلَاصِهِ،
وَهُوَ لَا يَعْرِفُ أَنَّهُ وَزِيرُهُ النَّاصِحُ « كَنْت »، الَّذِي لَمْ يَأَلُ
(لَمْ يُبْقِ) جُهْدًا فِي تَعْذِيرِهِ عَوَاقِبَ التَّسَرُّعِ وَالتَّبْنِي .

٤ - « الْبُهْلُولُ »

وَلَقَدْ تَفَرَّقَ أَصْحَابُ « لِير » ، بَعْدَ أَنْ زَالَ عَنْهُ سُلْطَانُهُ ،
وَدَالَتْ دَوْلَتُهُ (انْقَلَبَتْ رَأْسًا عَلَى عَقِبِ) . وَلَمْ يَبْقَ إِلَى جَانِبِهِ



— بَعْدَ وَزِيرِهِ الْأَمِينِ — غَيْرُ نَدِيمِهِ الَّذِي كَانَ يُلقَّبُهُ مَرَّةً بِالْبُهْلُولِ ؛
لِخِفَتِهِ وَدُعَابَتِهِ (ظَرْفِهِ وَفُكَاكِهِ) ، كَمَا يُلقَّبُهُ — مَرَّةً أُخْرَى —

بِالْمَجْنُونِ ؛ لِمَا أَعْتَادَهُ مِنْ خَلْطِ الْجِدِّ بِالْهَزْلِ وَالْمُجُونِ (عَدَمِ
الْمُبَالَغَةِ) ، وَإِلْبَاسِ الْحَقِيقَةِ ثَوْبَ الْبَاطِلِ .
وَكَانَ « الْبُهْلُولُ » يُحَاوِلُ جَاهِدًا أَنْ يَدْخِلَ السُّرُورَ وَالْبَهْجَةَ عَلَى
نَفْسِ مَلِيكِهِ ، وَيَتَفَنَّنُ فِي تَسْلِيَتِهِ بِكُلِّ وَسِيلَةٍ .

٥ - ذِكَاةُ « الْبُهْلُولِ »

وَكَانَ « الْبُهْلُولُ » يُحَاوِلُ أَنْ يُبَصِّرَ « لِير » بِعَاقِبَةِ مَا فَعَلَ .
وَقَدْ أَدْرَكَ — بِثَاقِبِ بَصَرِهِ (بِنَظَرِهِ النَّافِذِ) — مَا تُدْبِرُهُ « جُنْدِيلُ » ،
لَا يَسِيهَا مِنَ الْمَكَايِدِ ، وَعَرَفَ أَنَّهَا تَوَدُّ جَاهِدَةً أَنْ تَتَخَلَّصَ مِنْهُ .
وَقَدْ عَلِمَ « الْبُهْلُولُ » ، أَنَّ « جُنْدِيلَ » لَنْ تَغْفِرَ لِأَيُّهَا وَخَادِمِهِ
مَا لَقِيَهُ مِنْهَا خَادِمًا ، وَهِيَ الَّتِي أَوْعَزَتْ (أَشَارَتْ) إِلَيْهِ — كَمَا
أَسْلَفْنَا — بِأَنْ يَحْصِيَ أَمْرَ أَيُّهَا ، وَلَا يُلْقِيَ لَهُ طَلِبًا .

٦ - قِصَّةُ الْمُصْفُورِ وَالْغُرَابِ

فَدَخَلَ « الْبُهْلُولُ » ، يُغْنِي مُدَاعِبًا (مُعَازِحًا) سَيِّدَهُ ، مُتَوَخِّيًا

(قاصداً) أَنْ يُنْذِرَهُ بِالْكَارِثَةِ قُبَيْلَ وَقُوعِهَا ؛ حَتَّى لَا يُفَاجَأَ بِهَا ،
وَكَانَ يُلَمِّحُ لَهُ بِمَا يُرِيدُ ، وَيَقُولُ : « أَخْبَرْتَنَا الْقِصَصُ الَّتِي قَلَّتْهَا إِلَيْنَا
الْمُصَوِّرُ الْمَاضِيَةُ : أَنَّ عُصْفُورًا أَبْصَرَ غُرَابًا وَلِيدًا فِي عُشِّهِ ، يَكَادُ
يَهْلِكُ ؛ فَقَرَّبَ مِنْهُ مَا يَبْعَثُ فِي جِشْمِهِ الدَّفْعَ ، وَسَقَاهُ مَا يَشْفِيهِ .
فَلَمَّا نَشِطَ الْغُرَابُ الصَّغِيرُ ، وَتَدَمَّتْ بِهِ الْأَيَّامُ ، وَبَلَغَ مَبْلَغَ الشَّابِّ ،
دَفَعَتْهُ نَفْسُهُ الشَّرِيرَةُ إِلَى أَنْ يَقْتُلَ الْمُصْفُورَ الَّذِي قَدَّمَ لَهُ فُضْلًا ،
وَأَسَدَى إِلَيْهِ جَمِيلًا ؛ وَذَلِكَ سُوءُ الْجَزَاءِ . »

ثُمَّ يُنْشِدُ :

« قَدْ حَدَّثْنَا أَصْدَقُ الْأَمْثَالِ فِيمَا مَضَى مِنَ الزَّمَانِ الْخَالِي
بِقِصَّةِ تَرْوِي عَنِ الْمُصْفُورِ أَبْصَرَ - فِي ذِكْرِ مِنَ الْوُكُورِ -
فَرَّخَ غُرَابٍ مُشْرِفًا عَلَى التَّلَفِ قَالَ لِلْفَرَّخِ : اطمَئِنَّ ، لَا تَخَفْ
وَأَدْفَأَ الْفَرَّخُ ، وَدَاوَاهُ ، وَلَمْ يَزَلْ بِهِ ، حَتَّى شَفَاهُ مِنَ أَلَمِ
وَكَانَ عِنْدَهُ الْعَزِيزُ الْغَالِي وَأَكْرَمَ الْأَبْنَاءِ وَالْعِيَالِ
حَتَّى إِذَا الْفَرَّخُ غَدَا غُرَابًا لَمْ يَرَ - غَيْرَ قَتْلِهِ - ثَوَابًا
وَأَهْلَكَ الْغُرَابُ مَنْ رَبَاهُ جَزَاءَ مَا قَدَّمَ مِنْ حُسْنَاهُ . »

فَصَبَّحَ « لَيْرُ » مُتَعَجِّبًا : « وَمَاذَا تَعْنِي بِهَذِهِ الْقِصَّةِ ، يَا بُهْلُولُ ؟ »
فَأَجَابَهُ ضَاحِكًا :

« أَرَاكَ - يَا عَمَّ - فَعَلْتَ فَعْلَهُ وَسَوْفَ تُجْزَى فِي الْحَيَاةِ مِثْلَهُ
أَنْتَ شَبِيهُ ذَلِكَ الْمُصْفُورِ . »

فَصَرَخَ « لَيْرُ » يَتَوَعَّدُهُ بِالْوَيْلِ (الْعَذَابِ وَالْهَلَاكِ) ، إِذَا تَمَادَى
فِي دُعَابَتِهِ (مُزَاحِهِ) . قَالِ « الْبُهْلُولُ » ضَاحِكًا :
« أُعْطِيكَ - إِنْ كَذَّبْتَنِي - طُرْطُورِي ! »

٧ - حَاشِيَةُ الْمَلِكِ

وَمَا أَسْرَعَ مَا تَحَقَّقَتْ فِرَاسَةُ « الْبُهْلُولِ » ؛ فَإِنَّ « جُنْدِيلَ » :
تِلْكَ الْبِنْتَ الْخَيْثَةَ الْعَاقَةَ (الَّتِي لَمْ تُرَاعَ حَقَّ الْأَبُوَّةِ) ، لَمْ تَشَأْ
أَنْ تَتْرُكَ أَبَاهَا يَقْضِي بَقِيَّةَ حَيَاتِهِ وَادِعًا هَانًا مُسْتَدْرِجَ الْقَلْبِ ،
وَأَبَى عَلَيْهَا خُبْنَهَا وَلَوْ مُطْبِعَهَا إِلَّا أَنْ تُنْقَضَ عَلَيْهِ عَيْشُهُ ، وَتُكْذَّرَ
عَلَيْهِ صَفْوُ حَيَاتِهِ . وَقَدْ اسْتَدْعَتْهُ إِلَيْهَا بَعْدَ أَيَّامٍ قَلِيلَةٍ ، ثُمَّ قَالَتْ لَهُ :
« لَقَدْ مَلَأْتَ حَاشِيَتَكَ - لِكثَرَةِ عَدَدِهَا - قَصْرِي ، وَأَصْبَحْتُ

لَا أُطِيقُ جَلَبَتَهُمْ وَضَوْضَاءَهُمْ (أَصْوَاتُهُمْ الْعَالِيَةَ) بَعْدَ هَذَا الْيَوْمِ .
وَأَرَاكَ جَدِيرًا أَنْ تَتَخَيَّرَ نَخْبَةً (خُلَاصَةً) قَلِيلَةً - عَلَى نَصِّ سِنِّكَ
(فِي مِثْلِ عُمْرِكَ) - لِمُرَاقَبَتِكَ ، إِنْ شِئْتَ .

٨ - دَعْوَةُ « لِير »

فَنَضِبَ الْمَلِكُ « لِير » مِمَّا قَالَتْهُ بِنْتُهُ ، وَقَالَ لَهَا :
« إِنْ حَاشَيْتِي جَمِيعًا مِنْ خَيْرَةِ النَّاسِ أَدَبًا وَمَعْرِفَةً ، وَلَيْسَ فِي أَسْطَاطَةٍ
أَحَدٍ أَنْ يَتَّهِمَهُمْ بِمِثْلِ هَذِهِ التُّهْمَةِ الْكَاذِبَةِ . »
ثُمَّ أَمَرَ الْمَلِكُ بِاسْتِدْقَاءِ جِيَادِهِ (خَيْلِهِ) وَإِسْرَاجِهَا ، مُعْتَزِمًا أَنْ
يُعَادِرَ بِنْتَهُ عَلَى الْقَوْرِ ، وَانْفَتَحَ إِلَيْهَا عَابِسًا ، وَقَالَ :
« لَمْ يَبْقَ فِي مَقْدُورِي أَنْ أَصْبِرَ عَلَى هَذَا التَّجَنِّي (ادِّعَاءِ التُّهْمِ) ،
يَا « جُنْدَرِيلُ » . وَإِنِّي لِأَحْمَدُ اللَّهَ عَلَى أَنْ رَزَقَنِي بِنْتًا أُخْرَى غَيْرَكَ ،
تُكْرِمُ وَفَادَتِي (قُدُّومِي عَلَيْهَا) ، وَتَقْدُرُ أَبُوَّتِي لَهَا ، وَتَعْرِفُ مِنْ حَقِّي
عَلَيْهَا مَا أَنْكَرْتَهُ أَنْتِ ، أَيَّتُهَا الْعَاقَةُ الْجَاحِدَةُ . »
ثُمَّ دَعَا عَلَى بِنْتِهِ « جُنْدَرِيلَ » أَنْ يُصِيبَهَا اللَّهُ بِالنَّحْمِ ؛ فَلَا قَلِيلَ

مَدَى حَيَاتِهَا ، أَوْ يَرْزُقَهَا بَشَرُ الْأَبْنَاءِ ؛ لِيَجْزِيَهَا مِثْلَ هَذَا الْجَزَاءِ
الْعَادِرِ ، وَأَنْ تَمُوتَ شَرًّا مِيتَةً .

٩ - دُعَاةُ « الْبُهْلُولِ »

وَحَشِيَ « الْبُهْلُولُ » أَنْ يَطْفِئَ الْحُزْنَ عَلَى قَلْبِ « لِير » ،
فِيهِلَكَ ؛ فَجَرَى - عَلَى عَادَتِهِ - فِي مُدَاعَبَتِهِ (مُمَازَحَتِهِ) ، وَرَاحَ
يُضَيِّعُهُ مُنْشِدًا :
« يَا لَيْتَ لِي - يَا عَمَّ - طُرْطُورَيْنِ ! أُعْطِيكَ طُرْطُورًا مِنَ الْإِنْتَيْنِ
وَأَجْعَلَ الْآخَرَ نُصْبَ عَيْنِي . »
قَالَ : « وَمَاذَا أَصْنَعُ بِطُرْطُورِكَ ، يَا « بُهْلُولُ » ؟ ضَعْنُهُمَا مِمَّا نُصَبُّ
عَيْنَكَ (أَمَامَهَا) ! »
فَأَجَابَهُ ضَاحِكًا : « إِنْ بَنَيْتُكَ لَا تُعْطِيَانِكَ شَيْئًا لَوْ طَلَبْتَهُ .
وَمَا أَحَقَّكَ بِأَنْ تُرَوِّىَ خَدَيْكَ (تَبْلُغُهُمَا) بِدَمْعَتَيْنِ ، جَزَاءَ خَطِيئِكَ فِي
تُرْوَلِكَ لَهُمَا عَنِ الْمَلِكِ . » ثُمَّ أَنْشَدَهُ :
« أَطْلُبُهُ - إِنْ شِئْتَ - مِنَ الْبِنْتَيْنِ ! أَلَسْتَ أَسْكَنْتَهُمَا قَصْرَيْنِ ؟ »

أَلَسْتَ أَعْطَيْتَهُمَا تَاجِينَ ؟ ثُمَّ وَهَبْتَ الْمَلِكَ ذِيئَتَيْنِ ؟
 فَالْيَوْمَ تَلْقَى أَوَّلَ النُّصَفَيْنِ تُخْلِيكَ مِنْ بَيْتٍ مِنَ الْبَيْتَيْنِ
 وَفِي غَدٍ تَشْقَى بِطَرْدَتَيْنِ جَزَاءَ مَا أَخْطَأْتَ فِي حُكْمَيْنِ
 إِنَّكَ قَدْ خَدَعْتَ خَدَعَتَيْنِ فَرَوْا خَدْيَكَ بِدَمْعَتَيْنِ
 وَابْكِ عَلَى نَفْسِكَ مَرَّتَيْنِ .

فَقَالَ لَهُ « لِير » :

« مَا أَصْدَقَ مَا أَقُولُ ، أَيُّهَا الْمَجْنُونُ الْعَاقِلُ ! وَلَكِنْ قَاتَ وَقْتُ
 النَّدَمِ ، وَلَيْسَ لَنَا مِنْ حِيلَةٍ فِي رَدِّ مَا قَاتَ . عَلَى أَنَّ بِنْتِي الثَّانِيَةَ
 طَيِّبَةُ الْقَلْبِ ، وَلَنْ تَذْخِرَ (لَنْ تُنْقِيَ) وَنَسْعًا فِي إِسْعَادِي ، وَتَوْفِيرٍ
 جَالِبَاتِ الْبَهْجَةِ (أَسْبَابِ الشُّرُورِ) لِي .
 وَسُتْرِيكَ الْآيَّامُ صِدْقَ مَا أَقُولُ . »

١٠ - عِنْدَ « رِيحَان »

وَاعْتَزَمَ الْمَلِكُ « لِير » أَنْ يَقْضِيَ بَقِيَّةَ عُمُرِهِ فِي قَصْرِ بِنْتِهِ
 الثَّانِيَةِ « رِيحَان » ؛ فَبَعَثَ إِلَيْهَا رَسُولَهُ الْوَزِيرَ « كَنْت » ، بِكِتَابٍ

يُنَبِّئُهَا (يُخْبِرُهَا) فِيهِ بِمَا اعْتَزَمَهُ وَقَرَّرَهُ ، وَيَعِدُّهَا بِالذَّهَابِ إِلَيْهَا بَعْدَ
 وَقْتٍ قَلِيلٍ .

وَلَمْ يَكْذِبِ الْوَزِيرُ « كَنْت » ، يَنْبُلُغُ قَصْرَ « رِيحَان » ، وَيُقْضَى
 إِلَيْهَا (يُخْبِرُهَا) بِمَا لَقِيَ أَبُوهَا الشَّيْخَ « لِير » مِنْ عُقُوبِ (إِنْكَارِ
 لِحَقِّهِ) ، حَتَّى جَاءَ رَسُولٌ مِنْ أُخْتِهَا « جُنْرِيل » ، وَأَسْلَمَهَا كِتَابَهَا
 الَّذِي بَعَثَ بِهِ إِلَيْهَا ، تَوْصِيَهَا بِأَيِّهَا شَرًّا ، وَتَوْفِيرُ صَدْرَهَا
 (تَشِيرُ غَضَبَهَا) عَلَيْهِ ، وَتُدَبِّرُ لَهَا خُطَّةً خَبِيثَةً لِلْخِلَاصِ مِنْهُ وَمِنْ
 أَتْبَاعِهِ وَحَاشِيَتِهِ .

١١ - حَبْسُ الْوَزِيرِ

وَمَا أَتَمَّتْ « رِيحَانُ » كِتَابَ أُخْتِهَا قِرَاءَةً حَتَّى أَغْلَظَتْ الْقَوْلَ
 لِرَسُولِ أَيْيَا . فَلَمَّا حَاوَلَ أَنْ يُذَكِّرَهَا بِمَا لِأَيِّهَا عَلَيْهَا مِنْ فُرُوضِ
 وَحُقُوقِ ، ثَارَتْ فِي وَجْهِهِ مُغْضَبَةٌ ، وَأَمَرَتْ بِحَبْسِهِ فِي سِجْنٍ مُظْلِمٍ ،
 جَزَاءَ لَهُ عَلَى جُرْأَتِهِ .

١٢ - مَقْدَمُ « لِير »

وَبَعْدَ قَلِيلٍ مِنَ الزَّمَنِ قَدِمَ عَلَيْهَا الشَّيْخُ « لِير » . وَمَا عَلِمَ
أَنَّ رَسُولَهُ قَدْ سَجِنَ ، وَأَنَّ بِنْتَهُ « رِيحَان » هِيَ الَّتِي أَمَرَتْ بِحَبْسِهِ ،
حَتَّى زَادَ هِيَاجُهُ ، وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ عَلَيْهَا .
قَالَتْ لَهُ « رِيحَان » :

« خَفْتُ مِنْ سُخْطِكَ - أَيُّهَا الْوَالِدُ الشَّيْخُ - فَمَا أَظُنُّ أَنَّ
أُخْتِي قَدْ أَخْرَجَتْكَ مِنْ قَصْرِهَا إِلَّا بَعْدَ أَنْ تَقْدَ صَبْرُهَا مِنْ لِبَاجَةِ
اتِّبَاعِكَ (تَخَاصُمِهِمْ) وَصَخَبِهِمْ (صَيَحَاتِهِمْ) ، وَضَاقَ ذَرْعُهَا
(ضَجِرَتْ) بِمَا اقْتَرَفُوهُ (ارْتَكَبُوهُ) مِنْ شُرُورٍ وَآثَامٍ .
وَهِيَ - بِإِلَاشِكَ - فِي سَعَةِ مِنَ الْمَذَرِ ، لِأَنَّ قُصُورَ الْمُلُوكِ جَدِيرَةٌ
أَنْ تُنَزَّهَ (تُبْرَأَ وَتُخْلَصَ) مِنْ عِبَثِ الْمَآثِيهِ ، وَلَهُوَ الْهَازِرِينَ
(السَّاخِرِينَ فِي الْقَوْلِ) . »

١٣ - حُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ

لَمْ يَسْتَطِعْ « لِير » أَنْ يُصَدِّقَ مَا سَمِعَهُ أُذُنَاهُ مِنْ بِنْتِهِ الثَّانِيَةِ ،

بَعْدَ مَا رَأَاهُ مِنْ حُقُوقِ بِنْتِهِ الْأُولَى ؛ فَخَبِّلَ إِلَيْهِ أَنَّهُ حَالِمٌ ،
وَكَاذُ يُنْعَمَى عَلَيْهِ مِنْ فَرْطِ الْأَسَى وَالْحُزَنِ . وَلَكِنَّهُ لَمْ يَرَ فِي الْجَزَعِ
(شِدَّةِ الْحُزَنِ) فَائِدَةً ؛ فَاعْتَصَمَ بِالصَّبْرِ (لَجَأَ إِلَيْهِ) - مَا وَسَّعَهُ حِلْمُهُ -
وَقَالَ لِبْنْتِهِ ، وَهُوَ يُغَالِبُ الدَّمْعَ جَاهِدًا :

« مَا أَظُنُّ أَنَّكَ - مَهْمَا عَقَقْتَ أَبَاكَ - بِالْفَنَاءِ بَعْضَ مَا بَلَغَتْهُ
أُخْتُكَ مِنْ جُحُودٍ وَعَتُوقٍ !
وَإِنِّي لَا خَالُ أَنَّكَ أَقْرَبُ إِلَى الْبِرِّ بِأَيْدِكَ ، وَأُذَنِّي إِلَى الْوَفَاءِ وَالْحُسْنِ
عَلَيْهِ ، وَالْإِشْفَاقِ عَلَى شَيْخُوخَتِهِ . فَحَازِرِي أَنْ تَنْهَجِي نَهْجَ « جُرَيْل » ،
(تَتَّبِعِي طَرِيقَهَا) ، فَتُخَيِّبِي تَأْمِيلَ أَيْدِيكَ ، وَتَمْلِكِي قَلْبَهُ يَا سَا ؛
بَعْدَ أَنْ وَهَبَ إِلَيْكَ أَثْمَنَ مَا يَمْلِكُ ، وَلَمْ يَضُنَّ (لَمْ يَبْخُلْ) عَلَيْكَ
بِأَعَزِّ مَا لَدَيْهِ مِنْ مُلْكٍ وَجَاهٍ وَمَالٍ . »

١٤ - مَقْدَمُ « جُرَيْل »

وَمَا أَتَمَّ قَوْلَهُ ، حَتَّى قَدِمَتْ بِنْتُهُ « جُرَيْلُ » ؛ فَانْضَمَّتْ
إِلَى أُخْتِهَا « رِيحَان » ، وَظَلَّتْ تُوَعِّزُ صَدْرَهَا عَلَى أَبِيهَا الشَّيْخِ ؛ حَتَّى

فَمَا عَلَيْهِ قَلْبُهَا مَرَّةً أُخْرَى ، وَسَارَتْ مَعَهَا فِي الْعُقُوقِ إِلَى
أَبْعَدِ مَدَى .

قَالَتْ « رِيحَانُ » : « لَقَدْ اسْتَكْرَتْ عَلَيْكَ أُخْتِي أَنْ تَكُونَ
حَاشِيَتِكَ مُؤَلِّفَةً مِنْ خَمْسِينَ فَارِسًا . أَمَّا أَنَا ، فَاسْتَكْرْتُ عَلَيْكَ
فِصْفَ هَذَا الْعَدَدِ ، وَأَرَى أَنَّ خَمْسَةَ وَعِشْرِينَ فَارِسًا كَثِيرٌ
عَلَيْكَ . وَمَا أَذْرِي : مَا حَاجَةٌ مِثْلِكَ - أَيُّهَا الشَّيْخُ - إِلَى مِثْلِ
هَذَا الْعَدَدِ مِنَ الْحُرَّاسِ وَالْجُنْدِ ؟ بَلْ مَا حَاجَتُكَ إِلَى عَشْرَةِ
فُرْسَانٍ ؟ بَلْ إِنِّي لَأَسْتَكْرْتُ عَلَيْكَ خَمْسَةَ !

صَدَّقْنِي إِنَّكَ لَنْ تَحْتَاجَ إِلَى فَارِسٍ وَاحِدٍ ، فَكَيْفَ يَجْمَعُ
مِنْ الْفُرْسَانِ ؟ إِنْ خَدَمِي لِيُودُّونَ لَكَ - أَيُّهَا الشَّيْخُ - كُلَّ
مَا تُرِيدُ ، فَمَا انْتِفَاعُ مِثْلِكَ بِالْحَاشِيَةِ ؟ »

١٥ - غَضَبَةُ الشَّيْخِ

وَتَمَّ (هُنَا) أَذْرَكَ الشَّيْخُ « لِير » أَنَّ ابْنَتَهُ الثَّانِيَةَ لَيْسَتْ
أَبْرَّ بِهِ مِنَ الْأُولَى ؛ فَاشْتَدَّ عَلَى ابْنَتِهِ سُخْطُهُ ، وَدَعَا عَلَيْهَا جَمِيعًا

أَنْ تَلْقِيَا الْجَزَاءَ الْعَادِلَ ، وَأَنْذَرَهُمَا بِسُوءِ الْمَصِيرِ .

وَلَا تَسْلُ عَمَّا اسْتَوَلَى عَلَى قَلْبِهِ مِنَ الْيَأْسِ ، بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ
مِنْ غَدْرِ ابْنَتَيْهِ مَا لَمْ يَكُنْ لِيَخْطُرَ لَهُ عَلَى بَالٍ ؛ فَصَاحَ مُتَأَلِّمًا
مَحْزُونًا : « أَخْرِجَا مَعِيَ رَسُولِي وَبُهْلُولِي ، وَلَنْ تَرَيَانِي بَعْدَ
الْيَوْمِ ! »

لِجَوَادِهِ الْعِزَّانَ، وَقَدْ كَادَ الْيَأْسُ يُذْهِلُهُ، وَبَدَأَ عَلَيْهِ الْخَبَالُ (اِخْتِلَاطُ الْعَقْلِ) ؛ فَلَمْ يُبَالِ الزَّمْهَرِيرَ (بُلُوغَ الْبَرْدِ أَقْصَاهُ) ، وَلَمْ يُشْفِقْ عَلَى شَيْخُوخَتِهِ الْمُهْدَمَةِ، مُؤَثِّرًا (مُخْتَارًا) أَنْ يَهْلِكَهُ الْبَرْدُ، عَلَى أَنْ تَذِلَّهُ بِنْتَاهُ .

وَوَضَعَ يُلُوحُ بِذِرَاعَيْهِ فِي الْقَضَاءِ كَأَنَّمَا يَتَوَعَّدُهُمَا، وَيُمِيلُ رَأْسَهُ إِلَى الْخَلْفِ، وَيَصِيحُ مُغْضَبًا حَاتِقًا، حَتَّى لَيَحْسَبُ مَنْ يَرَاهُ أَنَّ بِهِ مَسًّا مِنَ الْجُنُونِ. وَلَمْ يَبْقَ مَعَ الشَّيْخِ « لِير » - فِي مِحْنَتِهِ - غَيْرُ صَاحِبِيهِ الْمُخْلِصَيْنِ: « كَنْت » وَ « الْبُهْلُول » .

٢ - الْأَعاصِيرُ وَالرُّعُودُ

وَأَشْتَدَّتِ الزَّوْبَعَةُ عُنْفًا، وَتَحَدَّرَ الْمَطَرُ (سَقَطَ) ، ثُمَّ هَمَى (نَزَلَ بِكَثْرَةٍ) كَأَنَّهُ السَّيْلُ الْجَارِفُ، وَجَلَجَلَتِ الرُّعُودُ الْقَاصِفَةُ، وَدَوَّتِ الرِّيَّاحُ الْعَاتِيَةُ (الْعَنِيفَةُ) ، وَخِيلَ إِلَى النَّاسِ أَنَّ الْبَرَائِكِينَ انْفَجَرَتْ، وَأَنَّ الْكَوَاكِبَ انْتَشَرَتْ (تَسَاقَطَتْ) ، وَأَنَّ الْجَحِيمَ سَعَرَتْ (الْتَهَبَتْ) . وَبَدَأَ ذَلِكَ الشَّيْخُ الْهَمُّ (الْهَرَمُ) ، وَقَدْ قَفَّ

الفصل الثالث

١ - هُيُوبُ الْعَاصِفَةِ



كَانَتْ اللَّيْلَةُ عَاصِفَةً، قَارِسَةً (شَدِيدَةَ الْبَرْدِ) . وَقَدْ أَدْرَكَ الشَّيْخُ « لِير » أَنَّ بِنْتَيْهِ الْقَادِرَتَيْنِ قَدْ أَسْلَمَتَاهُ إِلَى تِلْكَ الزَّوَابِعِ الثَّائِرَةِ، وَالْأَعَاصِيرِ الْهَائِجَةِ، دُونَ أَنْ تَأْخُذَهُمَا فِيهِ رَحْمَةٌ؛ فَأَسْلَمَ

شَعْرُهُ (وَقَفَ) ، وَتَقَوَّسَ ظَهْرُهُ ، وَانْحَنَتْ قَامَتُهُ الْمَدِيدَةُ ، بَعْدَ أَنْ
أَلَحَّتْ عَلَيْهِ جَالِبَاتُ الدَّمَارِ (مُسَبِّاتُ الْهَلَاكِ) ، وَعَصَفَتْ بِهِ
عاصِفَاتُ الْأَقْدَارِ .

٣ - نَشِيدُ الْعَاصِفَةِ

وَكَانَ الشَّيْخُ « لِير » يَصْرُخُ مُتَحَدِّيًا هَذِهِ الْقُوَى الْعَاتِيَةِ الْمُتَأَلِّبَةً
(الْمُتَجَمِّعَةَ) عَلَيْهِ ، مُصَيِّحًا صَيِّحَاتٍ مُفْرَعَةً هَائِلَةً ، وَهُوَ يَقُولُ :
« هِيَ آيَّتُهَا الرِّيحُ الْقَاسِيَةُ الْعَنِيفَةُ ، الَّتِي تُهْلِكُ الْمَدَائِنَ ، وَتُقْسِدُ
الْأَرْضِينَ : الْمُتَبَسِّطَةَ مِنْهَا ، وَالْمَمْلُوءَةَ أَحْجَارًا وَرِمَالًا ، وَالَّتِي
لَا زَرْعَ فِيهَا وَلَا نَبَاتَ . ثُمَّ أَنْزَلِي مَطَرَكِ ، يُغَطِّي الْأَبْنِيَةَ الْعَالِيَةَ ، وَيُغْرِقُ
الْأَرْضِيَّ الْمَزْرُوعَةَ . » ثُمَّ يُنْشِدُ مُتَوَعِّدًا :

« زَوَابِعَ الْأَمْطَارِ : هِيَ مَعَ الْإِعْصَارِ
فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ عَاصِفَةٌ مِنْ نَارٍ
مَرْهُوبَةٍ الدَّمَارِ تَأْتِي عَلَى الْأَمْصَارِ
وَالسَّهْلِ وَالْقِفَارِ

وَأَمْطِرِي ثُلُوجًا تَجَلُّلُ الْبُرُوجَا
وَتُغْرِقُ الْمُرُوجَا .

وَتَشْتَدُّ الْعَاصِفَةُ هُبُوبًا ، وَيَزَارُّ الرِّعْدُ مُجَلَجِلًا قَاصِفًا ، وَيَبْرُقُ
الْبَرْقُ ، يَكَادُ سَنَاهُ (ضَوْؤُهُ) يَخْطِفُ الْأَبْصَارَ ، وَيُوهِمُ مَنْ يَرَاهُ
أَنَّ الْكَرَّةَ الْأَرْضِيَّةَ تَهْتَزُّ مِنْ أَقْطَارِهَا (جَوَانِبِهَا) ، وَأَنَّ الدُّنْيَا قَدْ
زُلْزِلَتْ زِلْزَالَهَا . فَيَشْتَدُّ صِيَاحُ الشَّيْخِ ، وَهُوَ يَقُولُ : « دَوِّي - آيَّتُهَا
الرِّيحُ - وَغَوِّي ، وَدَمِّرِي بَيْتِي وَبَنِيَّ ، عَنَيْتُ (قَصَدْتُ) الذُّبَّتَيْنِ .
ثُمَّ أَنْتَنِي (غَوَّدِي) إِلَى ، فَأَمْطِرِينِي جَاحِكِ الْعَتَى (نَارِكِ الْمُوقَدَةِ) ،
كِفَاءَ خَيْتِي (عَلَى قَدْرِهَا) ، فِي ظَنِّي الْحَسَنِ بِهِمَا . » ثُمَّ أَنْشَدَ :

« يَارِيحُ : دَوِّي ، دَوِّي يَا رُغُودَ الْجَوِّ :
لَا تَهْدِي ، وَغَوِّي وَانْتَرَعِي حُسُوِي
وَأَحْرِقِي عَمْدُوِي

...

وَدَمِّرِي بَيْتِيَا وَأَهْلِي بَيْتِيَا
عَنَيْتُ : ذُبْنِيَا ثُمَّ أَنْتَنِي إِلَيَا

٤ - آلام الشيخ

وهكذا قضى الشيخ ليلة مروعة ، وهو هائم على وجهه ،
كأنه نصف مجنون ، مما لحقه من الآلام المبرحة (المضنية) ،
والأحداث الهائلة .

ولقد بذل وزيره المخلص « كنت » كل ما في وسعه ، للترفيه
(للتخفيف) عن ملكه ، وتهوين مصابه عليه ، ما وسعته حيلته .
وافتن « البهلول » في ضرب الأمثال ؛ ليذهله عن نكباته ، ويُنقذه من
هول الجنون الذي أوشك أن يحل به ، كما توصل إليه أن يقبل
رجاءه ، فيأوى معه إلى حصن (يبت من الشجر) قريب ، حتى
تنتهي تلك المواقف الهوج (النائرة) .

وما زال به حتى أطاعه ، وسار معه ميمماً (قاصداً) ذلك
الكوخ ، وهو يُناجي نفسه مخزونا : « أفي هذه الليلة تطردني
بناتي ؟ أفي هذه الليلة تغلق دُوري أبوابهما ؟

وامنك يا « ريجان » ، وتبا (هلاكا) لك يا « جبريل » !

فأمطري عليا جاحمك . العتيا
جزاء خدعتي وألهي جنبيا
كفاه خيتيا .

ثم تماوده الذكريات المؤلمة ، وتردد في سمعه كلمات بنتيه
التي كانتا تملقانه بها - لتستوليا على ملكه - ويقابل بينهما وبين ما رآه
من غدرها به ، واستيهانها بخطرهِ (قدرهِ وقيمتِهِ) ؛ فيستأف
صياحه مفرغاً ، ويقول مولوداً مروغاً :
« لقد خدعتني ما نمت (ما زينت) بنتاي من الكلام ، وقد
دهاني ما دهاني (أصابني ما أصابني) ، جزاء ما صنعت في الانخداع
بهما . قيايتها الرياح : اشتدى حتى تنسني (تدمري) الشامخات
(الجبال العالية) . » ثم أنشد :

« لير الذي أغراه ما نمت بنتاه
دهاه ما دهاه جزاء ما أمضاه
وقدمت يدها

دوى رباحا قاصفة وألهيها عاصفة
للشامخات ناسفة .

أَهْكَذَا تَجْزِيَانِ بِالْجُحُودِ أَبَا كَمَا الشَّفِيقَ ، الَّذِي وَهَبَكُمَا كُلَّ
مَا مَلَكَ ؟ إِنَّ عَاصِفَةَ الْجَوِّ — عَلَى قَسَوَتِهَا — لِأَهْوَنُ مِنْ هَذِهِ
الْعَاصِفَةِ الَّتِي أَثَرْتُهَا فِي نَفْسِ أَيْكُمَا ، بِمَا أَسْلَفْتُمَا (قَدَّمْتُمَا) إِلَيْهِ
مِنْ جُحُودٍ وَعُقُوقٍ ! »

وَلَمَّا دَنَوْا مِنَ الْخُصِّ ، قَالَ الْمَلِكُ « لِير » :

« إِنَّ أَخْثَرَ الْأَشْيَاءِ لِيُصْبِحُ عَظِيمَ الْقَدْرِ ، جَلِيلَ الْخَطَرِ ، مَتَى
اشْتَدَّتْ إِلَيْهِ الْحَاجَةُ . فَلَا عَجَبَ إِذَا عَدَدْنَا (قَدَّرْنَا) الظَّفَرَ بِهَذَا
الْخُصِّ غُنْمًا كَبِيرًا ، فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ الْهَائِلَةِ ! »

ه — أَنْشُودَةُ « الْبُهْلُولِ »

وَاسْتَمَعَ الْمَلِكُ « لِير » إِلَى صَوْتِ مُغْنٍ يَقْتَرِبُ مِنْهُ ؛ فَالْتَفَتَ ،
فَإِذَا بِهِ « الْبُهْلُولُ » ، يَتَظَاهَرُ بِالشُّرُورِ ، وَيَتَكَلَّفُ الْمَرَحَ (شِدَّةَ
الْفَرَحِ) ، وَيَلْتَفِتُ إِلَى مَوْلَاهُ مُنْشِدًا :

« قَسَمْتُ — بِالْأَمْسِ — مُلْكًا يَا « لِير » ، أَظْلَمَ قِسْمَهُ !
أَقْصَيْتُ كُلَّ عَلِيمٍ جَهْلًا ، وَأَنْكَرْتَ عِلْمَهُ
وَرُحْتَ تُدْنِي لَيْثِمًا بِالْمَدْحِ يَسْتُرُ لَوْثَمَهُ

يَا مُطْفِئُ النُّورِ : مَهْلًا ، شَرَيْتَ بِالنُّورِ ظُلْمَهُ ! »
قَالَ الشَّيْخُ مَذْهُوشًا :

« نَعَمْ : لَقَدْ أَقْصَيْتُ (أَبْعَدْتُ) الْعَلِيمَ ، وَأَذْنَيْتُ (قَرَّبْتُ)
اللَّيْثِمَ . لَقَدْ أَحْسَنْتَ التَّعْيِيرَ عَمَّا كُنْتُ أَفْكُرُ فِيهِ الْآنَ ، وَصَدَقْتَ
فِي إِظْهَارِ مَا نَاجَيْتُ بِهِ نَفْسِي (مَا حَدَّثْتُهَا سِرًّا) فِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ .

فَمَا أَبْرَعَكَ بِأَكْبَا وَمُغْنِيًا ، وَمَا أَظْرَفَكَ جَادًا وَهَازِلًا ! »

قَالَ « الْبُهْلُولُ » : « إِنِّي أَكْثَرُ النَّاسِ حِفْظًا لِعَهْدِكَ ، وَأَخْلَصُ
الْأَصْدِقَاءَ لَكَ . وَإِنِّي ذُو عَزْمٍ قَوِيٍّ ، وَهَيْمَةٍ عَظِيمَةٍ ، وَرَأْيٍ صَائِبٍ .
وَلَوْ تَرَكْتَنِي أَخْطَأَ وَأَبْرِمُ (أَجْعَلُ حُكْمِي نَافِذًا) ، لَقَسَمْتُ مُلْكَكَ
قِسْمَةً عَادِلَةً حَكِيمَةً . »

ثُمَّ اسْتَأْنَفَ « الْبُهْلُولُ » غِنَاءَهُ مُنْشِدًا :

« بُهْلُولُ : مَجْنُونُ « لِير » أَبْرُ عَنْهُدًا وَذِمَّةَ
أَوْفَى الْأَخِيالَاءِ قَلْبًا وَأَصْدَقُ الصَّحْبِ عَزْمَةً
وَأَحْسَنُ الْقِيُومِ رَأْيًا وَأَبَدُ النَّاسِ هَيْمَةً
لَوْ كَانَتْ مَجْنُونُ « لِير » يَقْضِي ، وَيُزِمُّ حُكْمَهُ
لَكَانَ أَعْدَلُ قِسْمَةً مِنْهُ ، وَأَوْفَرُ حِكْمَهُ .

٦ - شيطان الغابة

وَلَمَّا بَلَغَ الْمَلِكُ وَرَفِيقَاهُ ذَلِكَ الْخُصَّ، أَسْرَعَ «الْبُهْلُولُ» إِلَى دُخُولِهِ لِيُرْتَادَهُ (لِيَتَعَرَّفَهُ وَيَخْتَبِرَهُ) لَصَاحِبِيهِ. وَمَا كَادَ يَفْعَلُ حَتَّى عَادَ إِلَيْهِمَا مُسْرِعًا، وَهُوَ يَقُولُ :

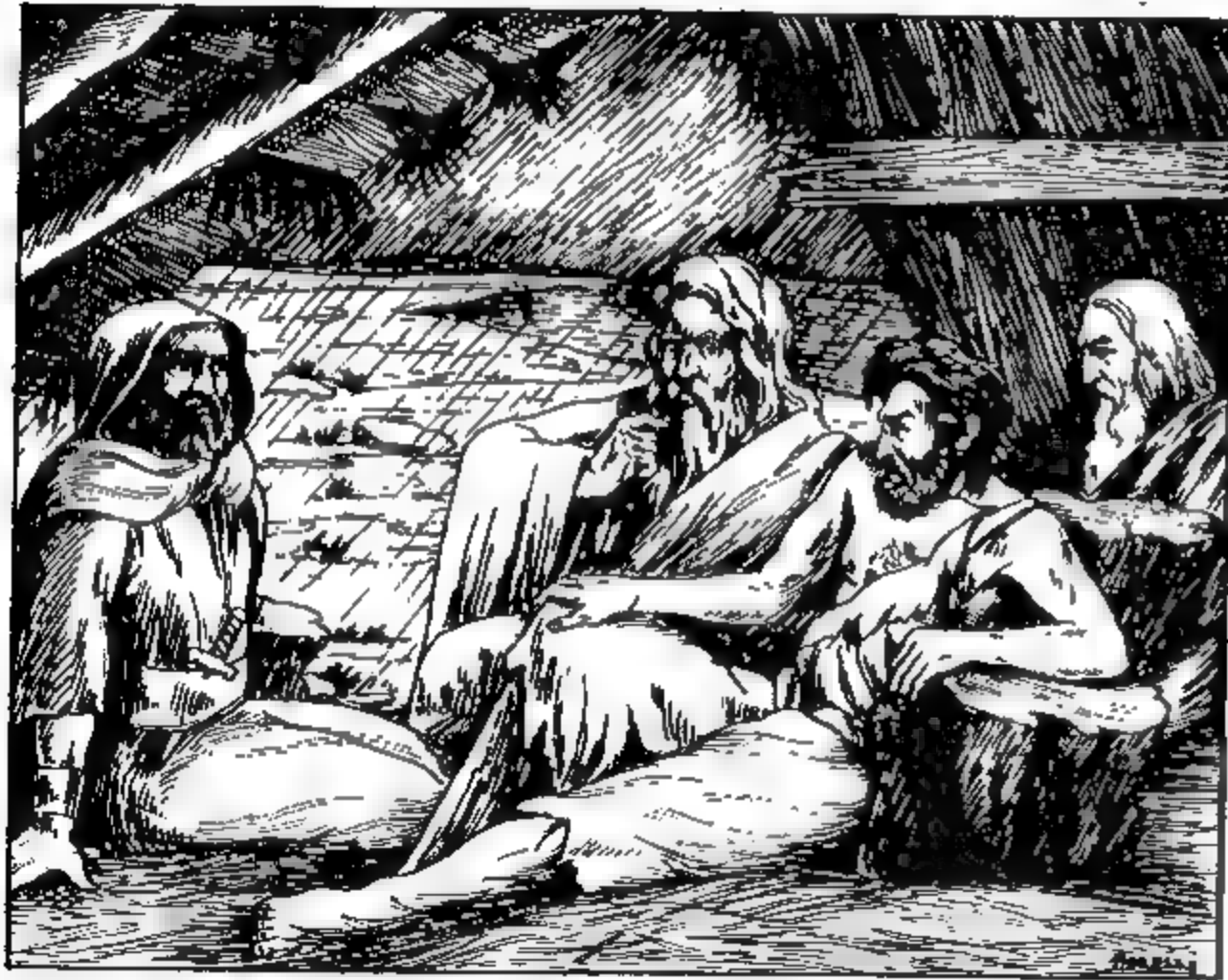
« حَذَارِ أَيُّهَا الرِّفِيقَانِ ، فَقَدْ رَأَيْتُ فِي ذَلِكَ الْخُصِّ شَيْطَانًا مَرِيدًا (عَنِيدًا قَاسِيًا) . وَهُوَ يَزْعُمُ أَنَّ اسْمَهُ «تُوم» ، وَيَلْقَبُ نَفْسَهُ بِالْمِسْكِينِ . وَلَقَدْ رَأَيْتُ عَلَيْهِ سِمَةَ الْخَبَالِ (عَلَامَةَ الْجُنُونِ) ؛ فَهُوَ مَخْبُولٌ إِنْ كَانَ إِنْسِيًّا (مِنْ النَّاسِ) ، وَإِذَا صَدَقَ حَدِيثِي (تَخْمِينِي) ، وَصَحَّ ظَنِّي ، فَمَا هُوَ إِلَّا شَيْطَانُ هَذِهِ الْغَابَةِ . »

فَلَمَّا خَرَجَ مِنَ الْخُصِّ ذَلِكَ الشَّيْطَانُ الْمِسْكِينُ ، وَجَدُوهُ أَشْعَثَ أَغْبَرٍ (مُتَلَبِّدَ الشَّعْرِ ، لَوْنُهُ كَلَوْنِ الْغُبَارِ) ، عَارِيَ الْجِسْمِ إِلَّا مِنْ أَسْمَالٍ بَالِيَةٍ (أَثْوَابٍ مُهْلَهَلَةٍ قَدِيمَةٍ) ، تَلَوُّحُ عَلَيْهِ أَمَارَاتُ الْبُؤْسِ . فَصَاحَ بِهِ الْمَلِكُ «لِير» : «مَاذَا بِكَ ، أَيُّهَا الشَّقِيُّ الْمِسْكِينُ ؟ هَلْ طَرَدَتْكَ ابْنَتَاكَ مِنْ بَيْتِكَ ، بَعْدَ أَنْ أَوْرَثْتَهُمَا إِيَّاهُ ؟»

فَأَجَابَ الرَّجُلُ مُتَبَالِهًا ، مُتَغَابِيًا : «أَنَا : تُومُ الْمِسْكِينُ . فَهَلُمُّوا إِلَى بَيْتِي ، أَيُّهَا الرِّفَاقُ . »

٧ - الأمير الوفي

وَمَا اسْتَقَرَّ بِهِمُ الْمَقَامُ ، حَتَّى رَأَوْا شَيْخًا يَجُوسُ خِلَالَ الْغَابَةِ (يَمُرُّ فِي طُرُقَاتِهَا) ، وَفِي يَدِهِ مِشْعَلٌ يُنِيرُ لَهُ طَرِيقَهُ فِي الظَّلَامِ الْحَالِكِ .



وَمَا تَيَّنَ الْوَزِيرُ «كَنت» ذَلِكَ الشَّيْخَ الْقَادِمَ ، حَتَّى عَرَفَ أَنَّهُ الْأَمِيرُ «جُلْستَر» . فَسَأَلَهُ عَنْ سَبَبِ مَقْدَمِهِ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ الْهَائِلَةِ .

فَقَالَ لَهُ : « لَقَدْ طَالَ بَحْثِي عَنِ الْمَلِكِ « لِير » ؛ لَأَوْيَهُ (أَضِيفَهُ)
فِي بَيْتٍ قَرِيبٍ مِنْ قَصْرِي ؛ حَتَّى لَا يَهْتَدِيَ إِلَيْهِ أَعْدَاؤُهُ الَّذِينَ
يَتَرَبَّصُونَ بِهِ (يَنْتَظِرُونَ لَهُ الشَّرَّ) . وَإِنِّي لَيَحْزُنُنِي مَا أَرَاهُ عَلَيْهِ
مِنْ أَمَارَاتِ الْخَبَالِ (عِلَامَاتِ ضَعْفِ الْعَقْلِ) . »

فَقَالَ لَهُ « كُنْتُ » : « لَقَدْ أَصْبَحَ الشَّيْخُ أَقْرَبَ إِنْسَانٍ إِلَى الْجُنُونِ . »
فَقَالَ الْأَمِيرُ : « إِنَّ نِصْفَ مَا حَلَّ بِهِ مِنَ الْأَحْدَاثِ (الْمَصَائِبِ)
لَيُسَلِّمُ الْعَاقِلَ إِلَى الْجُنُونِ . »

٨ - فِي بَيْتِ الْأَمِيرِ

وَبَعْدَ حِوَارٍ (حَدِيثٍ) طَوِيلٍ ، ذَهَبَ الْجَمِيعُ إِلَى الْبَيْتِ الرَّيْفِيِّ
الَّذِي أَعَدَّهُ الْأَمِيرُ لِمُسْكَنَاهُمْ قَرِيبًا مِنْ قَصْرِهِ . ثُمَّ تَرَكَهُمْ مُسْتَأْذِنًا
عَلَى أَنْ يَمُودَ إِلَيْهِمْ بَعْدَ قَلِيلٍ . وَجَلَسَ « لِير » مَعَ أَصْحَابِهِ ، وَقَدْ
عَادَ إِلَيْهِ خَبَالُهُ وَهَذْيَانُهُ ؛ فَتَمَثَّلَ نَفْسَهُ قَاضِيًا بِحَاكِمٍ بِنْتَيْهِ ، وَتَجَزَّيْهُمَا
بِمَا أَسْلَفَتَاهُ (قَدَّمَاهُ) إِلَيْهِ مِنْ إِسَاءَةٍ وَعُقُوقٍ .

وَمَا زَالَ يَهْدِي حَتَّى خَارَتْ قُوَاهُ ، وَزَايَلَهُ رُشْدُهُ (فَارَقَهُ هُدَاهُ) ،
وَأَسْلَمَهُ الضَّنَى (سُوءُ الْحَالِ) وَالضَّعْفُ إِلَى نَوْمٍ عَمِيقٍ .

الفصل الرابع

١ - الْأَمِيرُ « جُلُسْتَر »

أَيُّهَا الْقَارِئُ الْغَرِيزُ :

لَا شَكَّ فِي أَنَّكَ تُحِبُّ أَنْ تَعْرِفَ مَنْ هُوَ الْأَمِيرُ « جُلُسْتَر »
الَّذِي عُنيَ (اِهْتَمَّ) بِالْمَلِكِ « لِير » ، وَبَذَلَ لَهُ كُلَّ مَا فِي قُدْرَتِهِ مِنْ
رِعَايَةٍ وَإِكْرَامٍ . وَإِنِّي لَمُحَدِّثُكَ بِبَعْضِ حَدِيثِهِ الْمُحْزَنِ ؛ لِتَعْرِفَ
مَكَانَهُ مِنْ شُخُوصِ هَذِهِ الْقِصَّةِ الْخَالِدَةِ .

كَانَ الْأَمِيرُ « جُلُسْتَر » شَدِيدَ الْوَفَاءِ لِمَلِكِهِ « لِير » . وَقَدْ حَزَنَ
لِمَا أَصَابَهُ مِنْ نَكَبَاتٍ وَأَحْدَاثٍ ، وَبَكَى لِتَشْرِيبِهِ (لِسَقَطِيَّتِهِ) . وَلَمْ
يَكُنْ يَمُدُّهُ (يُسَاوِيهِ) - فِي إِخْلَاصِهِ وَوَفَائِهِ لَهُ - غَيْرُ « كُنْتُ » ؛
الْوَزِيرِ ، وَ« كُرْدِيلَا » : صُفْرَى بَنَاتِ الْمَلِكِ « لِير » .

٢ - وَلَدَا الْأَمِيرِ

وَكَانَ لِهَذَا الْأَمِيرِ الْمُخْلِصِ الْوَقْفِيِّ وَلَدَانِ ، اسْمُهُمَا : « إِدْجَار »
وَاسْمُهُ الثَّانِي : « إِدْمُنْد » . فَأَمَّا الْأَوَّلُ فَكَانَ مِثَالَ الْوَفَاءِ ، وَأَمَّا أَخُوهُ

فكان مثال العُوق . ولم يكن الثاني - عَلَى الْحَقِيقَةِ - وَلَدَ الْأَمِيرِ « جُلُوسَر » ؛ وَلَكِنَّهُ كَانَ مُنْتَسِبًا إِلَيْهِ ؛ لِأَنَّهُ تَبَنَاهُ (اتَّخَذَهُ ابْنًا) - مُنْذُ نَشَأَتِهِ - وَجَعَلَهُ صِنُوًا (أَخًا) لِابْنِهِ « إِدْجَار » ، وَبَذَلَ لَهُ كُلَّ مَا يَمْلِكُ مِنْ رِعَايَةٍ وَتَهْذِيبٍ .

فلما كَبُرَ « إِدْمُنْدُ » نَسِيَ كُلَّ مَا حَبَاهُ بِهِ الْأَمِيرُ « جُلُوسَر » (مَا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ) ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ غَرَضٌ يَسْعَى إِلَى تَحْقِيقِهِ ، غَيْرُ الْوِشَايَةِ (السَّمَى بِالسُّوءِ) بِأَخِيهِ ، وَإِيفَارِ صَدْرِ أَبِيهِ (إِشْطَالِهِ غَيْظًا) عَلَيْهِ ؛ لِيَسْتَأْتِرَ وَخْدَهُ بِكُلِّ شَيْءٍ .

زَوْرَهُ وَعِزَاهُ (نَسَبَهُ) إِلَى أَخِيهِ . وَقَدْ أَفْلَحَتْ مُوَأْمَرَتُهُ - بَعْدَ قَلِيلٍ - فَهَرَبَ أَخُوهُ « إِدْجَار » ، فِرَارًا مِنْ سُخْطِ أَبِيهِ الَّذِي تَوَعَّدَهُ بِالْقَتْلِ ، دُونَ أَنْ يَعْرِفَ لِنُغْصِبِهِ سَبِيلًا .

وَمُنْذُ ذَلِكَ الْيَوْمِ ، تَزَيَّأَ « إِدْجَارُ » بِزِيِّ الْفُقَرَاءِ ، وَتَظَاهَرَ بِالْبَلَهِ وَالْجُنُوتِ ، وَغَيْرَ مِنْ هَيْئَتِهِ ، وَأَطْلَقَ عَلَى نَفْسِهِ اسْمَ : « تَوْمِ الْمِسْكِينِ » ، الَّذِي قَالَ عَنْهُ « الْبُهْلُولُ » : « إِنَّهُ شَيْطَانُ الْغَايَةِ » . كَمَا ذَكَرْتُهُ لَكَ ، فِيمَا قَصَصْتُهُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْفَصْلِ السَّابِقِ .

٤ - مُسْتَشَارُ الْمَمْلَكَةِ

كَانَ « إِدْمُنْدُ » شَدِيدَ الطُّمُوحِ (عَظِيمَ الرَّغْبَةِ فِي الْعُلُوِّ) ، وَكَانَ يَجْمَعُ - إِلَى دَهَائِهِ (مَكْرِهِ) وَذَكَائِهِ - مِنْ خُبْتِ الطَّبِيعِ وَلَوْثِ النَّفْسِ : مَا لَا يَخْطُرُ لِإِنْسَانٍ عَلَى بَالٍ . وَقَدْ ابْتَهَجَ لِنَجَاحِهِ فِي مُوَأْمَرَتِهِ الْخَسِيسَةِ الَّتِي دَبَّرَهَا لِإِصْهَاءِ أَخِيهِ ، وَأَغْرَاهُ (زَيَّنَ لَهُ) ذَلِكَ الْقَوْرُ بِمُضَاعَفَةِ هِمَّتِهِ ، لِتَحْقِيقِ غَايَتِهِ الْبَعِيدَةِ ؛ وَهِيَ ارْتِقَاءُ الْعَرْشِ وَالظَّفَرُ (الْقَوْرُ) بِالْمَلِكِ . وَقَدْ اسْتَوْلَتْ هَذِهِ الْغَايَةُ عَلَيْهِ

٣ - فِرَارُ « إِدْجَار »

وَدَبَّرَ ذَلِكَ الْوَلَدُ الْغَادِرُ : « إِدْمُنْدُ » مُوَأْمَرَةً خَسِيسَةً لِإِصْهَاءِ صَاحِبِهِ (إِبْعَادِهِ) عَنْ أَبِيهِ ؛ فَأَوْهَمَ الْأَمِيرَ أَنَّ وَلَدَهُ « إِدْجَار » يَأْتَمِرُ بِهِ (يُشَاوِرُ نَفْسَهُ فِيهِ) ، لِيَقْتُلَهُ طَمَعًا فِي ثَرَوَتِهِ الْعَظِيمَةِ ، وَمَنْصِبِهِ الْخَطِيرِ . وَمَا زَالَ يُغْرِيه (يُطِمِعُهُ) وَيُوَلِّبُهُ (يُبَيِّرُهُ) ، حَتَّى أَقْنَعَهُ بِصِدْقِ مَا افْتَرَاهُ (مَا اخْتَلَقَهُ) ، بَعْدَ أَنْ قَرَأَ عَلَيْهِ كِتَابًا

وَتَمَلَّكَتْ تَفَكُّيرَهُ ، وَامْتَزَجَتْ بِدَمِهِ ، وَهَيَمَتْ (تَفَلَّتْ) عَلَى قَسِيهِ : فَأَصْبَحَ لَا يُبَالِي أَقْدَارَ الشُّنْعِ وَالْآثَامِ (ارْتِكَابَ الْقَبَاحِ وَالْجَرَائِمِ) ، فِي سَبِيلِ بُلُوغِ أَمْنِيَّتِهِ .

وَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ أَصْبَحَ مُسْتَشَارَ الْمَمْلَكَةِ كُلِّهَا ، وَمَوْضِعَ رَقَّةِ الْأَخْتَيْنِ جِيًّا . وَثُمَّ بَدَأَ يُؤَغِّرُ صَدْرَ « جُرَيْل » وَ« رِيحَان » عَلَى أَيْبِهِمَا . وَمَا زَالَ يَرْسُمُ لِهَمَا الْخُطَّةَ لِلْخَلَّاصِ مِنْهُ ، وَيُزَيِّنُ لِهَمَا ذَلِكَ ، حَتَّى أَقْبَصَتْهُ عَنْهُمَا ، وَخَلَا الْجَوُّ لِذَلِكَ الْمُسْتَشَارِ الْمَاكِرِ الْخَيْثِ .

٥ - الْجَاؤُسُ

وَلَمْ يَكُنْ لَوْمْ طَوِيَّتِهِ (خُبْتُ نَيْتَهُ) عِنْدَ هَذَا الْحَدِّ ؛ فَرَاخَ يَنْقُلُ إِلَى بَنَاتِ « لَيْر » ، أَخْبَارَ الْأَمِيرِ « جُلُسْتَر » ، الَّذِي تَبَنَاهُ وَتَعَهَّدَهُ مِنْذُ نَشَأَتِهِ ، وَرَبَّاهُ فِي حَدَائِثِهِ . وَلَمْ يَخْطُرْ بِبَالِ الْأَمِيرِ أَنْ « إِدْمَنْد » - أَقْرَبَ النَّاسِ إِلَيْهِ ، وَالصَّفَقَهُمْ بِهِ - يَتَجَسَّسُ أَخْبَارَهُ ، وَيُخْصِي (يَدُّ) عَلَيْهِ أَعْمَالَهُ ، لِيُلْقِيَهَا أَعْدَاءَهُ .

وَقَدْ عَرَفَ « إِدْمَنْد » - مِنْ مُحَادَثَةِ الْأَمِيرِ - أَنَّهُ يَقْتَرِمُ الْعَوْدَةَ

إِلَى الْمَلِكِ « لَيْر » ؛ لِيُبَصِّرَ رَفِيقَهُ « كَنْت » بِمَا يَتَهَدَّدُ مَلِيكَهُ مِنْ أَخْطَارٍ ، وَيُوصِيَهُ بِالذَّهَابِ إِلَى « دُوفَر » ، حَيْثُ تُقِيمُ « كُرْدَلِيَا » : صُغْرَى بَنَاتِ « لَيْر » ؛ لِيَفْضِيَ إِلَيْهَا (لِيُخْبِرَهَا) بِمَا لَقِيَهُ أَبُوهَا ، وَبِمَا لَا يَزَالُ يَلْقَاهُ ، مِنْ أَحْدَاثٍ وَخُطُوبٍ .

٦ - نَصِيحَةُ الْأَمِيرِ

وَلَمَّا خَرَجَ الْأَمِيرُ « جُلُسْتَر » مِنْ قَصْرِهِ ، طَائِدًا إِلَى « الدَّنْكَرَةِ » (الْقَرْيَةِ) الَّتِي أَوْدَعَ فِيهَا « لَيْر » ، وَأَصْحَابَهُ ، أَفْضَى إِلَيْهِمْ بِمَا يُسَاوِرُهُ مِنْ قَلَقٍ عَلَى حَيَاةِ الْمَلِكِ . وَالْحَقُّ عَلَى الشَّيْخِ « لَيْر » ، فِي أَنْ يُسَافِرَ إِلَى « دُوفَر » ؛ حَيْثُ يَلْقَى - مِنْ رِعَايَةِ بَنْتِهِ الْبَارَةِ « كُرْدَلِيَا » ، وَعِنَايَتِهَا - مَا هُوَ خَلِيقٌ (جَدِيرٌ) بِهِ ، وَزَوْدُهُ بِمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنَ الْمَالِ . وَقَدْ أَدْرَكَ الْوَزِيرُ « كَنْت » مَا يَتَهَدَّدُ « لَيْر » مِنَ الْأَخْطَارِ ؛ فَاسْرَعَ إِلَى تَنْفِيذِ مَا أَوْصَاهُ بِهِ الْأَمِيرُ « جُلُسْتَر » قَبْلَ فَوَاتِ الْفُرْصَةِ .

٧ - نَكْبَةُ الْأَمِيرِ

وما عادَ الأميرُ « جُلُستَر » إلى قَصْرِه ، حتَّى قَبِضَتْ عليه « رِيْجَانُ » وزوجُها و « جُنْدِيلُ » أُخْتُها ، بعد أن عَرَفُوا من « إِدْمُنْدَ » الْخَيْثِ ، كُلَّ مَا أَشَدَّاهُ (قَدَّمَهُ) الْأَمِيرُ إِلَى الْمَلِكِ « لِير » مِنْ صَنِيعٍ مَشْكُورٍ .

وَاشْتَدَّ غَضَبُهُمْ عَلَى الْأَمِيرِ الْكَرِيمِ ؛ فَأَوْثَقُوا كِتَافَهُ ، وَصَفَّدُوهُ (وَضَعُوهُ فِي الْقَيْدِ وَالْأَغْلَالِ) . وَتَمَادَوْا فِي الْإِسَاءَةِ وَالتَّكْلِيفِ بِهِ (تَعْذِيبِهِ) وَشَتَمِهِ ، ثُمَّ نَتَفَوْا شِمَرَاتٍ مِنْ لِحْيَتِهِ . فَلَمَّا غَضِبَ وَثَارَ لِكِرَامَتِهِ ، وَذَكَرَهُمْ بَا هُوَ أَهْلٌ لَهُ مِنَ الرِّعَايَةِ ، زَادَتْ رَهْمَتُهُمْ عَلَيْهِ . فَقَدَّمَ إِلَيْهِ زَوْجُ « رِيْجَانِ » ، وَأَخْرَجَ عَيْنَهُ : وَاحِدَةً بَعْدَ أُخْرَى ؛ فَصَرَخَ الْأَمِيرُ مُنَوِّثًا (مُسْتَنْثِيًا) ، بَعْدَ أَنْ عَمِيَتْ عَيْنَاهُ . فَتَحَمَّسَ لِنُصْرَتِهِ أَحَدُ خَدَمِهِ ، وَطَمَنَ الْجَانِي الْأَثِيمَ طَغْصَةً قَاتِلَةً ، اِتِّصَارًا لِمَوَلَاهُ ، وَانْتِقَامًا لَهُ مِنْ أَعْمَاهُ . وَقَدْ لَقِيَ حَتْفَهُ (مَاتَ) ذَلِكَ النَّدَامُ الشَّهْمُ فِي سَبِيلِ الْوَاجِبِ النَّبِيلِ .

أَمَّا الْأَمِيرُ « جُلُستَر » ، فَقَدْ أَلْقَوْا بِهِ خَارِجَ الْقَصْرِ ، دُونَ أَنْ تُدْرِكَهُمْ شَفَقَةٌ بِهِ ، وَلَا رَحْمَةٌ عَلَيْهِ .

٨ - الزَّارِعُ وَالْأَمِيرُ

وَيَمْشِي الْأَمِيرُ خُطَوَاتٍ قَلِيلَةً عَلَى غَيْرِ هُدًى ، فَيَلْقَاهُ شَيْخٌ فِي الثَّمَانِينَ مِنْ عُمُرِهِ ؛ فَيَسْأَلُهُ الشَّيْخُ مَخْزُونًا عَمَّا حَلَّ بِهِ مِنَ الْأَحْدَاثِ . فَيَرْجُوهُ الْأَمِيرُ أَنْ يَبْتَعِدَ عَنْهُ حَتَّى لَا يُصِيبَهُ مِنْ أَجْلِهِ سُوءٌ ، فَيَقُولُ لَهُ الشَّيْخُ :

« أَحْبِبْ بِكُلِّ مَا أَلْقَاهُ مِنْ أَدَى وَضُرِّ فِي سَبِيلِكَ ؛ قَدْ نَشَأْتُ فِي نِعْمَتِكَ ، وَعِشْتُ مِنْ غَلَّةِ الْأَرْضِ الَّتِي اسْتَأْجَرْتُهَا مِنْكَ وَمِنْ أَيْدِكَ . وَلَنْ أُرُوكَ وَحِيدًا ، بَعْدَ أَنْ قَدَدْتَ نُورَ عَيْنِكَ ، وَعَجَزْتَ عَنْ تَعْرِفِ الطَّرِيقِ . »

قَالَ لَهُ « جُلُستَر » : « لَقَدْ تَعَثَّرْتُ فِي طَرَفِي حِينَ كُنْتُ أُبْصِرُ ، وَأَخْطَأْتُ فِي الْحُكْمِ عَلَى مَا رَأَيْتُ ، وَلَمْ تَنْصِبْنِي (لَمْ تَحْفَظْنِي) عَيْنَايَ مِنَ الْخَطَا . فَلَعَلِّي أَعُودُ إِلَى الصُّوَابِ وَأَنَا أَعْمَى ، فَلَا أَسْرَعَ فِي الْحُكْمِ عَلَى مَا يُحِيطُ بِي مِنَ الْأَشْيَاءِ . »

٩ - الأمير والمجنون

ولقيهما في طريقهما « توم المسكين » ، وهو يتظاهر بالمجنون كعادته . ولعلك الآن قد عرفتُه ، بعد أن أسلفت لك القول : إنه « إدجار » ولد الأمير ، الذي وُشي به أخوه « إدمند » .

ورأى الولد البر الوفي ما أصاب والده من النكبات ؛ ففاض قلبه لوعة (حُرقة) وحزنًا . ولكنه أثر (فضل) التجلّد والصبر ؛ حتى لا يفتن أبوه إلى حقيقة أمره فتكشف حيلته .

وقد ألع الأمير على الشيخ الزارع أن يسلمه إلى ذلك المسكين . فقال له الشيخ : « وكيف أسلمك إلى مجنون ؟ »

فأجابه الأمير : « لقد أصبح من كُنّا نحسبهم عقلاء ، خادعين مضللين في هذه الأيام السود . ولعلّ أجد في هدى (في رأي) من نحسبهم مجانين : خيرًا مما وجدته في هدى أولئك المتظاهرين بالتعقل والحكمة . فإذا شئت أن تُسدى إليّ جميلًا (تصنع معي معروفًا) ، فأخضر ثيابًا لتكسو بها ذلك العاري المسكين . »

٥٥
قال له الزارع : « سأخضر له خير ما عندي من الثياب . »

١٠ - حوار الأمير وولده

وسار الأمير مع ولده « إدجار » ، الذي كان لا يزال يتظاهر أمام أبيه بأنه مجنون ، حتى لا يفتن إلى حقيقة .

وسأله الأمير : « أتعرف الطريق - يا فتى - إلى « دوفر » ؟ »
قال له : « أعرف كل خافية من خوافيها ، ولا أجهل شيئًا من

معالِمها ومجاهلها . »

قال له : « برّبك : سرّ معي حتى تبلغ بي الصخرة العالية التي تُعرف (تطل) على البحر من قمة الجبل ؛ لألقي بنفسي من ذلك الملو الشاهق ؛ فأخلص مما أكايدُه من الآلام المبرّحة (الموجهة) . »

وخذ هذا الكيس بما فيه من مال ، مكافأة لك على ذلك . »

فتظاهر ولده بطاعته ، وما زال يمشي معه حتى بلغ به

صخرة قليلة الارتفاع في سفح الجبل . قال له : « ما أبعد هذه

القمة الشاهقة عن سطح البحر ! إنّي لأرى أحد الصيادين وهو

واقفٌ على الشاطئ ؛ فيُخِيلُ إِلَى - مِنْ فَرَطِ الْعُلُوِّ - أَنَّهُ قَارَةٌ
صَغِيرَةٌ ، وَارَى الْمَرَائِبَ الْكَبِيرَةَ ؛ فَلَا أَكَادُ أُتَيِّنُ رَسْمَهَا ، لَعَرَطِ



ضَالَّتْهَا (شِدَّةٌ صِغَرُهَا) ، وَتَقَارَةُ أَحْجَامِهَا ! هَلَمْ - بِأَسِيدِي - فَاصْرِ
كَمَا تُرِيدُ !

وَلَقَدْ خُيِّلَ إِلَى الْأَمِيرِ أَنَّ مُحَدَّثَهُ صَادِقٌ فِيمَا يَقُولُ ؛ فَتَقَرَّرَ مِنَ
الصَّخْرَةِ إِلَى سَفْحِ الْجَبَلِ ، دُونَ أَنْ يُصِيبَهُ سُوءٌ .

وَأَقْبَلَ وَلَدُهُ «إِدْجَارُ» ، وَقَدْ غَيَّرَ مِنْ صَوْتِهِ ، مُتَظَاهِرًا بِأَنَّهُ شَخْصٌ
آخَرُ ؛ فَقَالَ لَهُ : « كَيْفَ هَوَيْتَ يَا عَمُّ - مِنْ ذَلِكَ الارتفاعِ
الشَّاهِقِ ، دُونَ أَنْ يَدُقَّ عُنُقُكَ (تَكْسِيرَ رَقَبَتِكَ) ، وَتُسْحَقَ عِظَامُكَ ؟ »
فَجَبَّ الْأَمِيرُ مِمَّا سَمِعَ ، وَقَالَ لَهُ : « مِنْ أَيِّ أَرْتَقَاعِ هَوَيْتُ
(سَقَطْتُ) ؟ » فَأَجَابَهُ «إِدْجَارُ» مُتَظَاهِرًا بِاللَّهْشَةِ وَالْمَعْجَبِ :

« أَلَا تَعْرِفُ مَدَى الْهُوَّةِ السَّحِيقَةِ (مَقْدَارَ الْحُفْرَةِ الْعَمِيقَةِ) الَّتِي
تَرَدَّيْتُ (سَقَطْتُ) فِيهَا ؟ لَقَدْ رَأَيْتُكَ - مِنْذُ لَحْظَةٍ بِسِيرَةٍ - وَأَنْتَ
فِي عَالِيَةِ هَذَا الْجَبَلِ الشَّاهِقِ ، وَمَعَكَ مَخْلُوقٌ عَجِيبٌ ، تَبْدُو عَيْنَاهُ
كَأَنَّهُمَا - لَشِدَّةٍ اتَّسَاعِيهِمَا - قَمَرَانِ مُسْتَدِيرَانِ ، وَقَدْ خُيِّلَ إِلَيَّ أَنَّ
لَهُ أَلْفَ وَجْهِ . وَمَا أَشْكُ فِي أَنَّهُ شَيْطَانٌ مَرِيدٌ (خَيْثُ) . فَلْتَهْنَأْ
بِنَجَاتِكَ مِنْهُ ، وَلْتَفْرَحْ بِمَا ظَهَرَتْ بِهِ مِنَ السَّلَامَةِ ؛ فَمَا أَشْكُ فِي أَنَّ
الْعَنَاءَ الْإِلَهِيَّةَ تَصْحَبُكَ وَتَحْرُسُكَ . »

١١ - فِي الْحُقُولِ

وَأَنَّهُمَا لَيَسِيرَانِ فِي الْحُقُولِ ، إِذْ لَقِيَهُمَا الْمَلِكُ «لِيرُ» ، وَقَدْ عَقَدَ

عَلَى رَأْسِهِ تاجًا مِنَ الْأَزْهَارِ الْبَرِّيَّةِ . فَلَمَّا حَيَّاهُ « إِدْجَارُ » ، أَنْشَأَ « لِير »
يَهْدِي وَيُجَمِّعُ الْقَاطِئَاتِ لَا مَعْنَى لَهَا . فَمَرَقَهُ الْأَمِيرُ « جُلَيْسَر » — حِينَ سَمِعَ
صَوْتَهُ — وَسَأَلَهُ قَائِلًا : « تُرَى مَنْ أَرَى ؟ أَلَسْتَ الْمَلِكُ » لِير ؟ »



فَأَجَابَهُ : « إِنَّ كُلَّ جَارِحَةٍ مِنْ جَوَارِحِي (كُلُّ عُضْوٍ مِنْ أَعْضَائِي) ،
وَكُلُّ شَعْرَةٍ مِنْ شَعْرَاتِ جِسْمِي ، لَتَنْطِقُ صَارِخَةً مُجَدِّتَةً : أَنِّي



الملك « لير » . أما أنت ، فما أظنك إلا بنتي « جنريل » ، برغم هذه اللحية البيضاء .

ثم استولى الخبال والهديان عليه مرة أخرى . فحزن الأمير لما حدث ، وهان عليه ما حل به من أحداث وخطوب ، بعد أن رأى ما بلغه الملك « لير » من سوء المآل (العاقبة) .

١٢ - عودة المخلص

هدأت العواصف العاصفة ، وسكنت الرعود المدوية ، وقشعت (زالت) السحب المتلبدة ، وظهرت السماء صافية بعد أن حجبتها الغيوم . وعادت البنت الوفيّة « كزديلا » في جيشها العظيم ، لتقذّ أباهما مما يُعانيه من الأهوال والكوارث . وكانت قد علمت من الوزير المخلص : « كنت » ، ما عاناه الشيخ « لير » من الخطوب والمعن . فأخبرت زوجه : ملك « فرنسا » تلك القصة المفرّعة ؛ فلم يتردّد في إعداد جيش كبير ، لتأديب أختينها الغادرتين ، والتكفل بهما (جعلهما نكالا وعبرة) ؛ جزاء ما أسلفاه إلى أبيهما « لير » ، من إساءة وجحود .

وما كان أسرع « كزديلا » : صغرى النبات ، وأوقاهن عهداً ، وأكرمهن قساً ، إلى نجدة أبيها . فقد فادرت « دوفر » - من فورها - وما زالت تجد في سترها ، حتى وصلت إلى أبيها ، وهي أشوق ما تكون إلى لقائه ، ولتم بدنه (تحبيلهما) ، والإعتذار له مما كابده (عاناه) من حقوق بنتيه ، وما لقيه على أيديهما من إذلال وهوان .

١٣ - نصيحة الطبيب

وما وصلت إليه ، حتى وجدته مستغرقاً في سبات (نوم) عميق . قال لها الطبيب : « أتأمرين - يا مولاتي - أن أنبهه ؟ » قالت له : « ليس لي أن أمر بما ليس لي به علم » . فاضل ما يوحيه إليك طبك ، وثقّد ما تُشير به عليك خيرتك وتجاربك .

قال الطبيب : « أرى أن نوظفه على عزف الموسيقى ، بعد أن نكسوه حلة جديدة (ثوباً لم يلبس) . ومتى استيقظ على الألحان المشجية (المطربة) ، كنت أول من يراه ؛ فلا يلبث أن يعود إليه

رُشْدُهُ الَّذِي أَوْشَكَ أَنْ يُفَارِقَهُ . وَإِنْ فِي مُعَادَتِهِ جِلَالَتِكَ إِيَّاهُ ، لَدَوَاهُ
أَنْجَعَ (أَشْفَى) لَهُ مِنْ كُلِّ دَوَاءٍ .

١٤ - مُنَاجَاةُ « كُرْدِلِيَا »

قَالَتْ « كُرْدِلِيَا » : « اصْنَعْ - لِشِفَائِهِ - مَا تَشَاءُ ، وَابْذُلْ
فِي سَبِيلِ ذَلِكَ مَا تَسْتَطِيعُ ، بِلَا إِبْطَالٍ .
وَلَمَّا عَزَفَتِ الْمَوْسِيقَى ، دَبَّتِ الْبَقِظَةُ فِي نَفْسِ الْمَلِكِ شَيْئًا فَشَيْئًا ،
حَتَّى أَفَاقَ مِمَّا غَشِيَهُ (مِمَّا أَصَابَهُ) ، وَاسْتَيْقَظَ مِنْ سُبَاتِهِ الْعَمِيقِ .
وَكَانَتْ « كُرْدِلِيَا » شَدِيدَةَ الْوَعَةِ لِمَا أَصَابَ وَالِدَهَا الْكَرِيمَ
مِنْ هَوْلِ تِلْكَ الْعَاصِفَةِ الْهَوَاجِاءِ الَّتِي أَضْعَفَتْ جَسَدَهُ ، وَأَزْهَقَتْ
(أَتْعَبَتْ) أَعْصَابَهُ ؛ فَوَقَّعَتْ تَتَأَمَّلُ وَجْهَهُ الْحَزِينَ ، وَتُنَاجِيهِ
مُتَلَاعَةً (مُتَأَلِّمَةً) ، وَهِيَ تَقُولُ :

« أَهْكَذَا تَجْزِيكَ بِالتَّقْوَى وَالْعَدْرِ بِنْتَاكِ ، جَزَاءَ مَا أَسْلَفْتَ
إِلَيْهَا بِالْخَيْرِ يَدَاكِ ؟ أَهْكَذَا تَبْلُغُ قَسْوَةَ الْقَلْبِ مِنْهُمَا أَنْ تُسَلِّمَكَ
إِلَى الرِّيحِ الْعَاطِيَةِ ، وَالرُّعُودِ الْمَدْوِيَةِ ؟ »

ثُمَّ أُنْعَمَتِ النَّظَرُ فِي وَجْهِ الشَّيْخِ ، وَقَدَرِ اشْتَدَّتْ لَوْعَتُهَا وَحُزْنُهَا ،
قَالَتْ : « كَيْفَ رَضِينَا لِهَذَا الْوَجْهِ أَنْ يَتَعَرَّضَ لِأَهْوَالِ الْعَوَاصِفِ
الْهَوَاجِ ، وَلَيْسَ عَلَيْهِ مِنْ غِطَاءٍ يَقِيهِ غَائِلَةُ الْبَرْدِ (شِدَّتُهُ) غَيْرُ تِلْكَ
الشَّعْرَاتِ الْمُبِیضَةِ الرَّقِيقَةِ ؟ شَدَّ مَا كَابَدَتْ - يَا أَبَتِ - مِنْ الْهَوَلِ
وَالضَّرَرِ (الْعَرَضِ) . وَشَدَّ مَا أَسَأْتُهَا ، أَيُّهَا الشَّقِيقَتَانِ !

أَمَّا لَوْ أَنَّ لِي عَدُوًّا لَدَوْدًا أَغْرَى بِإِذْنِائِي كَلْبًا ضَارِيًا حُقُودًا ، فَحَضَنِي
دُونَ أَنْ أُسْلِفَ إِلَيْهِ إِسَاءَةً ، ثُمَّ لَقِيتُ الْكَلْبَ الشَّرِسَ فِي تِلْكَ
الْقَبِيلَةِ الْآبِلَاءِ (الشَّدِيدَةِ الظُّلْمَةِ) ، وَقَدْ نُبِذَ بِالْعَرَاءِ (الْأَرْضِ الْخَالِيَةِ) ؛
لَاوِيَتُهُ فِي يَدِي وَأَذْفَأْتُهُ ، مُتَسَابِيَةً كُلَّ مَا أُسْلِفَ إِلَيَّ مِنْ
أَذِيَةٍ وَإِلْهَامٍ .

فَكَيْفَ يَمُنُّ وَهَبَ لَكُمْ مُلْكَهُ الْعَظِيمَ ، وَتَفَنَّنَ فِي بَرِّكُمْ ،
وَلَمْ يَدَّخِرْ أَىَّ وَبِيلَةٍ فِي سَبِيلِ إِسْحَادِكُمَا ! أَهْكَذَا تَجْزِيَانِي ؟
أَيُّنَ الْفَاطِكُمَا الْمَذْبُوعِ الْخَادِعَةِ ، الَّتِي كُنْتُمَا تُمَلِّقَانِهِ بِهَا يَوْمَ
دَعَاكُمْ لِإِسْخَامِ مُلْكِهِ ؟

لَقَدْ تَمَثَّلْتُ (تَخَيَّلْتُ) مِنْ قُنُونِ غَدْرِكُمَا صُورًا وَالْوَانَا لَا تُنْخَصَى ،

فَقَالَتْ : « كَرْدِلِيَا » : « هَلْ عَرَفْتَنِي ، يَا مَوْلَايَ ؟ »

فَأَجَابَهَا : « أَنْتَ - بِلاَ شَكِّ - أَكْرَمُ رُوحٍ مَلَائِكِي رَأَيْتَهُ فِي حَيَاتِي . فَخَبَّرَنِي بِرَبِّكَ - أَيُّهَا الرُّوحُ الطَّاهِرُ - فِي أَيِّ وَقْتٍ حَلَّتْ بِكَ الْوَفَاةُ ؟ »

١٦ - حِوَارُهُ مَعَ « كَرْدِلِيَا »

فَلَمْ تَنْتَسِرْ « كَرْدِلِيَا » مِنْ شِفَائِهِ ، وَأَقْبَلَتْ عَلَيْهِ تُوَسِّيه ، وَتُلَاطِفُهُ ، وَتَطْلُبُ إِلَيْهِ أَنْ يُهْدِيَ مِنْ سُورَةِ نَفْسِهِ الْمَحْزُونَةِ .
قَالَ مَدْمُوشَا :

« حَبِّبُكَ أَيُّهَا الرُّوحُ الْمَلَائِكِي ، حَسْبُكَ (كَفَاكَ) ! فَمَا أَدْرِي - مِمَّا يُحِيطُ بِي مِنْ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ - شَيْئًا ، وَمَا أَعْرِفُ أَيَّ تَوْبٍ هَذَا الَّذِي أُرِيدُهُ ؟ وَلَا أَدْرِي مَنْ الَّذِي أَلْبَسَنِيهِ ؟ وَلَوْ سَأَلْتُمُونِي - فِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ - فِي أَيِّ مَكَانٍ أَنَا ؟ لَمَا عَرَفْتُ لِسَوَالِكُمْ جَوَابًا .
مَدَّقُ - أَيُّهَا الرُّوحُ الْكَرِيمُ - أَتَنِي لَا أَعْرِفُ كَيْفَ قَضَيْتُ يَوْمَ أَمْسٍ ؟ وَلَا أَدْرِي أَنَا أَمِ يَقْظَانُ ؟ ثُمَّ لَا أَدْرِي أَحْيَا أَنَا ،

وَلَكِنْ مَا تَكْشَفَ لِي مِنْ ضُرُوبِ الْقَسْوَةِ وَفُنُونِ الطَّمَعِ - مِنْكُمْ - قَدْ فَاقَ جَمِيعَ مَا تَمَثَّلْتُهُ ، وَأَرْبَى (زَادَ) عَلَى كُلِّ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ خَيَالِي ، مِنْ أَفَانِينَ الْمُقَوِّ وَالْإِسَاءَةِ (أَصْنَافِهِمَا) . »

١٥ - يَقْظَةُ الشَّيْخِ

وَأَفَاقَ الشَّيْخُ « لِير » مِنْ سُباتِهِ العميقِ ، فَأَقْبَلَتْ عَلَيْهِ بِنْتُهُ الْوَفِيَّةُ « كَرْدِلِيَا » تُحَيِّيه قَائِلَةً :
« كَيْفَ أَصْبَحْتَ ، يَا صَاحِبَ الْجَلَالَةِ ؟ »

فَبَدَتْ الدَّفْهَشَةُ عَلَى وَجْهِهِ ، وَلَمْ يَعْرِفْ : أَمِ حُلْمٌ هُوَ أَمْ فِي يَقْظَةٍ ، ثُمَّ قَالَ مُتَحِيرًا :

« لِمَاذَا بَعَثْتُمُونِي مِنَ الْمَوْتِ ؟ وَلِمَاذَا أَخْرَجْتُمُونِي مِنْ ظُلْمَةِ الْقَبْرِ ، بَعْدَ أَنْ أَرَاخُنِي الْمَوْتُ مِنْ كَوَارِثِ الزَّمَنِ وَمَصَائِبِ الْحَيَاةِ ؟ »
ثُمَّ نَظَرَ إِلَى « كَرْدِلِيَا » مَدْمُولا ، وَقَالَ : « وَأَنْتَ أَيُّهَا الرُّوحُ الْمَلَائِكِي الْخَنُونُ ، خَبَّرَنِي : مِنْ أَيِّ مَكَانٍ مِنْ عُثُلِ السَّمَاوَاتِ نَزَلْتَ ؟ وَكَيْفَ حَلَلْتَ هَذَا الْوَادِي ؟ وَلِأَيِّ غَايَةٍ جِئْتَ ؟ »

أَمْ مَيِّتٌ؟ وَلَوْ طَاوَعْتُ نَفْسِي، وَأَفْضَيْتُ بِمَا أَضْمِرُهُ، لَحَسِبْتُمُونِي
مَخْبُورًا أَوْ مَعْتُورًا! إِنِّي لَأَتَمَثَّلُ فِي هَذَا الرُّوحِ الْمَلَأْتِكِي صُورَةَ
بَنِي الْوَقِيَّةِ «كَرْدِلِيَا». فَلَا يَسْخَرَنَّ مِنْ هَذَا الْوَهْمِ أَحَدٌ؛ فَإِنِّي
أَعْتَقِدُ أَنَّي لَا أَزَالُ عَلَى قَيْدِ الْحَيَاةِ، كَمَا أَعْتَقِدُ أَنَّ هَذَا الرُّوحَ الْمَائِلَ
أَمَامِي هُوَ «كَرْدِلِيَا» بَنِي.

قَالَتْ «كَرْدِلِيَا» بَاكِئَةً:

«مَا أَصْدَقَ فِرَاسَتَكَ (إِسَابَةَ ظَنِّكَ)، وَأَصَحَّ رَأْيِكَ، أَيُّهَا
الْوَالِدُ الْكَرِيمُ!»

قَالَ لَهَا مُتَأَلِّمًا: «لِمَاذَا تَبَكَّيْنِ، أَيُّهَا الْبَارَةُ الْمُحْسِنَةُ؟ أَأَنْتِ
تَحْزَنِينَ لِمَا أَصَابَنِي، بَعْدَ أَنْ أَسْلَفْتُ إِلَيْكَ مِنَ الْإِسَاءَةِ مَا أَسْلَفْتُ؟
أَكْذَلِكَ تَجْزِينِي إِحْسَانًا بِإِسَاءَةٍ، عَلَى حِينٍ قَدْ جَزَيْتَنِي أَخْثَاكَ
إِسَاءَةً بِإِحْسَانٍ؟ أَمَّا لَوْ أَنَّكَ أَنْكَرْتَنِي - كَمَا أَنْكَرْتَنِي أَخْثَاكَ -
لَكُنْتُ فِي سَعَةٍ مِنَ الْعُذْرِ»، قَالَتْ لَهُ:

«بِرَبِّكَ لَا تَسْلِمَ لِأَخْزَانِكَ - يَا أَبَتِ - فَإِنَّ ذَلِكَ يَمْلَأُ
نَفْسِي هَمًّا وَلَوْعَةً. هَلَمْ يَا أَبَتِ، فَلْنَتَرَى إِلَّا مَا يَسُرُّكَ.»

١٧ - اعْتِذَارُ النَّادِمِ

قَالَ لَهَا: «لَقَدْ أَسَأْتُ إِلَيْكَ أَبْلَغَ إِسَاءَةٍ، وَمَا أَجْدَرَنِي أَنْ أَطْلُبَ
إِلَيْكَ الصَّفَحَ وَالْفُرَانَ (السَّامِحَةَ وَالْمَغْفِرَةَ). فَتَجَاوِزِي (اصْفَحِي)
- أَيُّهَا الْكَرِيمَةُ - عَمَّا قَدَّمْتُ يَدَايَ.»

قَالَتْ لَهُ: «إِنِّي بِنْتُكَ الْمُؤْتَمِرَةُ بِأَمْرِكَ، الْمُلَبَّيَّةُ لِإِشَارَتِكَ،
فَلَا يَحْزَنُكَ شَيْءٌ بَعْدَ الْيَوْمِ. أَمَّا أَنَا فَلَسْتُ إِلَّا خَادِمَةً وَفِيَّةً لَكَ
مَدَى الْحَيَاةِ.»

وَتَمَّ أَذْرَكَ الْمَلِكُ «لِير» - نَيْشًا (بَعْدَ فَوَاتِ الْوَقْتِ) - بِمِقْدَارِ
وَفَاءِ بِنْتِهِ «كَرْدِلِيَا»، وَعَرَفَ مَدَى خَطِيئِهِ حِينَ صَدَّقَ مَا كَانَتْ
تُرَوِّدُهُ بِنْتَاهُ، مِنْ كَاذِبِ الْقَلْبِ، وَخَائِلِ الثَّنَاءِ (خَادِعِ الْمَدْحِ).

۴۰ — بین «آلبانی» و «ایومن»

وكان ذلك الأمير طيب القلب فلم يرض عن شيء مما اقتطفه

۱۔ - مریعہ، کُردلیا،

ما كان ليدور بخلد الملك « لير » - حين أصرى إلى تمليق بنتيه الخادعتين، وعق نصيحة وزيره المخلص « كشت » - أن أحداث الدهر ومصائبه ستجتمع متوالية، مثابة عليه، للشكل به، مسرفة في معاقبته على خطئه؛ فلا تلوح بارقة (نور) من الأمل، حتى يعقبها ليل داج (شديد السواد)، من اليأس الميت؛ لقد تبقى الجيشان، وكان الأمل مفقوداً على نصره « كزدليا »، وهزيمة جيش أختها الفادرئين، واندياره (انكاره). ولكن شو حظ الشيخ « لير » قد خيب هذا الأمل الباسم المشرق؛ فانهزم جيش « كزدليا » أشنع هزيمة، وانتصر عليه جيش « جنريل » و« ريجان »، وانتهت المعركة بأمر « كزدليا » وأبيها، وإيداعهما السجن بعد أن غلب جيشهما على أمره.

(أَرْتَكَبُهُ) الْخُبَاءُ الثَّلَاثَةُ مِنَ الْأَوْزَارِ وَالْآثَامِ (الذُّنُوبِ وَالْجَرَائِمِ) .
وَأَصْرَ الْأَمِيرِ « أَلْبَانِي » عَلَى إِطْلَاقِ سَرَّاحٍ « كُرْدِيَا » وَأَبِيهَا مِنْ
إِسَارِهَا ، كَمَا أَصْرَ « إِدْمُنْدُ » عَلَى حَبْسِهَا . وَدَارَتْ مُنَاقَشَةٌ عَنِيفَةٌ
بَيْنَهُمَا ، وَانْتَصَرَتْ الْأُخْتَانِ لِمُسْتَشَارِهِمَا الْخَبِيثِ . وَغَضِبَ الْأَمِيرُ
« أَلْبَانِي » ؛ فَدَعَاهُ لِلْمُبَارَاةِ (الْمُضَارَبَةِ بِالسَّيْفِ) .

٤ - بَيْنَ « إِدْمُنْدُ » وَ« إِدْجَارُ »

وَجَاءَ - فِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ - « إِدْجَارُ » : ابْنُ الْأَمِيرِ « جُلُوسَتَر » ؛
فَدَعَا أَخَاهُ « إِدْمُنْدُ » إِلَى زِيَارَتِهِ (مُبَارَاةِ) قَاتِلَا :
« هَلُمَّ أَتِيَا الْقَائِدَ الْعَظِيمَ ، فَاثْتَشِقْ حُسَامَكَ (اشْهَرِ سَيْفَكَ) ،
وَاصْنُفْ آخِرَ صَفْحَةٍ فِي تَارِيخِ حَيَاتِكَ الْمَمْلُوءَةِ بِالشُّرُورِ وَالْأَرْجَاسِ
(الْخَطَايَا) وَالذَّنَايَا . هَلُمَّ فَانْتَقِمْ لِشَرَفِكَ مِنْ يَرْمِيكَ بِكُلِّ مُخْزِيَةٍ ،
وَنَتِهْمُكَ بِكُلِّ نَقِصَةٍ . هَلُمَّ إِلَى : فَرَوْ (اسْقِ) رُمَحَكَ مِنْ دَمِي
إِنْ اسْتَطَعْتَ ، لَعَلَّكَ تَفِيلُ مَا لَحِقَكَ مِنَ الْإِهَانَةِ الَّتِي لَوَّثَتْ بِهَا
شَرَفَكَ الرَّفِيعَ . فَإِنْ عَجَزْتَ عَنْ ذَلِكَ ، فَلَنْ يُعْجِزَنِي قَتْلُكَ ! »

فَصَاحَ فِيهِ « إِدْمُنْدُ » : « إِنَّمَا جَاءَ بِكَ إِلَى حَيْنِكَ (انْقِضَاءِ
أَجَلِكَ) . وَلَنْ جَهِلْتُ مَنْ أَنْتَ ، لَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّكَ رَجُلٌ سَاقَتُهُ
حَمَاقَتُهُ إِلَى الرَّدَى ، وَأَسْلَمَهُ أَجَلُهُ إِلَى الْهَلَاكِ . وَإِنْ سَتِيفِي هَذَا
لَكَفِيلٌ بِتَأْدِيبِ أَمْثَالِكَ ، وَالتَّنْكِيلِ بِكَ ، وَجَعَلْتُ عِبْرَةً لِكُلِّ
مَنْ يَعْتَبِرُ . »

وَمَا أَنْتُمْ وَعِيدُهُ حَتَّى بَدَأَ هُجُومَهُ عَلَى مُنَازِلِهِ (خَصْمِهِ) ،
وَدَارَتْ رَحَى الْقِتَالِ بَيْنَهُمَا ، وَأَشْتَدَّ صِرَاعُهُمَا ، وَسُرْعَانَ مَا عَاجَلَهُ
« إِدْجَارُ » بِطَعْنَةٍ قَاتِلَةٍ ؛ فَهَوَى « إِدْمُنْدُ » إِلَى الْأَرْضِ مُجَدَّلاً
(صَرِيحاً) ، يَتَعَثَّرُ (يَتَخَبَّطُ) فِي دَمِهِ . وَأُسْتُوْلِيَ الدَّهْشُ عَلَى الْحَاضِرِينَ ،
وَعَقَدَ الذُّهُولُ أَلْسِنَتَهُمْ ؛ فَلَمْ يَدْرُوا مَا يَفْعَلُونَ .

٥ - مَصَارِعُ الْخُبَاءِ الثَّلَاثَةِ

وَلَمَّا سَقَطَ « إِدْمُنْدُ » ، صَاحَتْ « رِيْجَانُ » مُفْرَعَةً ، تَتَلَوَّى
مِنْ فَرْطِ الْأَلَمِ ، ثُمَّ أُغْمِيَ عَلَيْهَا ؛ فَوَقَعَتْ - مِنْ فَوْرِهَا -
جُثَّةً هَامِدَةً .

أَتَدْرِي - أَيُّهَا الْقَارِئُ الْعَزِيزُ - بَأَى شَيْءٍ قُتِلَتْ « رِيحَانُ » ؟
بِالسَّمِّ قَتَلَتْهَا « جُنْرِيْلُ » ؛ لَتَسْتَأْثِرَ بِالْمَلِكِ وَحَدَهَا ! وَلَكِنْ أَمَلَهَا
قَدْ خَابَ ، حِينَ رَأَتْ قُوَّةَ « إِدْجَارَ » ، وَانْتِصَارَهُ عَلَى مُسْتَشَارِهَا
« إِدْمُنْدُ » ، الَّذِي نَاطَتْ (عَلَقَتْ) بِهِ كُلَّ آمَالِهَا فِي التَّفَرُّدِ بِالْمَلِكِ ،
وَالِاسْتِثْنَاءِ بِالسُّلْطَانِ ؛ فَعَاجَلَتْ نَفْسَهَا بِطَعْنَةِ قَاتِلَةٍ ، أَوْدَتْ بِهَا
(أَهْلَكَتَهَا) ، وَمَضَتْ بِرُوحِهَا إِلَى الْجَحِيمِ .

وَرَأَى « إِدْمُنْدُ » أَنْ كُلَّ مَا بَنَاهُ - بِالْعَدْرِ وَالْعُقُوقِ وَالْإِسَاءَةِ إِلَى
أَقْرَبِ النَّاسِ وَأَبْرَرِهِمْ بِهِ - قَدْ انْهَارَ (سَقَطَ) أَمَامَهُ فِي لَحْظَةٍ وَاحِدَةٍ ؛
فَصَاحَ مُسْتَعْظِماً قَاتِلَهُ :

« خَبَّرَنِي بِرَبِّكَ : مَنْ أَنْتَ ؟ لِأَعْرِفَ اسْمَ مَنْ كُتِبَ عَلَى يَدَيْهِ
مَضْرَعِي ؟ »

فَاجَابَهُ « إِدْجَارُ » :
« أَنَا ابْنُ مَنْ كَانَتْ إِحْسَانُهُ إِلَيْكَ ، وَرَبُّهُ بِكَ ، وَتَرَبُّيْتُهُ
إِيَّاكَ ، أَقْبَحَ مُكَافَأَةٍ . أَنَا ابْنُ الْأَمِيرِ « جِلْسَر » ، الَّذِي تَبَنَّاكَ ؛
فَأَغْرَيْتَ بِهِ أَعْدَاءَهُ ، وَمَكَّنْتَ لَهُمْ مِنَ التَّنْكِيلِ بِهِ ؛ حَتَّى حَرَمُوهُ

نُورَ عَيْنَيْهِ . وَقَدْ مَاتَ - مُنْذُ دَقَائِقَ - مِنْ هَوْلٍ مَا رَأَى مِنَ
الْمَصَائِبِ وَالْأَحْدَاثِ .

٦ - تَوْبَةُ الْهَالِكِ

فَصَاحَ « إِدْمُنْدُ » مُتَفَجِّعاً :

« مَا أَصْدَقَ مَا قَالَتْ بِهِ شَفَتَاكَ ! لَقَدْ حَقَّ عَلَى الشَّقَاءِ ، وَلَقِيتُ
مَا أَنَا أَهْلُهُ لَهُ مِنْ التَّنْكِيلِ وَالْجَزَاءِ ، وَحَاقَتْ عَلَى اللَّعْنَةِ إِلَى الْأَبَدِ .
وَلَكِنِّي أَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ ضَارِعاً أَنْ تُسْرِعَ بِنَجْدَةٍ « لِي » وَبِنْتِهِ
« كُرْدِيَا » ؛ فَقَدْ أَصْدَرْتُ أَمْرِي بِقَتْلِهِمَا فِي سِجْنِهِمَا خُلْسَةً (خُفْيَةً) ،
قَبْلَ أَنْ أَثْنِيكَ مَعَكَ فِي هَذِهِ الْمَعْرَكَةِ الْقَاضِيَةِ : لَعَلِّي أَكْفُرُ
- بِإِنْقَاذِهَا - عَنْ شَيْءٍ يَسِيرٍ مِمَّا اقْتَرَفْتُ مِنَ الْخَطَايَا وَالْآثَامِ الْمُؤَبَّقَةِ
(الْمُهْلَكَةِ) ! هَلُمَّ فَأَنْقِذْهُمَا قَبْلَ أَنْ يَحُلَّ بِهِمَا الْهَلَاكُ . »

ثُمَّ أُنْغِمَى عَلَيْهِ ، وَأُسْلِمَتْهُ جِرَاحُهُ إِلَى الرَّدَى (الْمَوْتِ) ؛ فَقَضَى
مُشِيعاً (مُودِعاً) بِاللَّعْنَاتِ ، كَمَا شِيعَتْ « جُنْرِيْلُ » وَ « رِيحَانُ » .

٧ - مَصْرَعُ « كُرْدِلِيَا »

وَلَقَدْ بَذَلَ الْحَاضِرُونَ كُلٌّ مَا فِي مَقْدُورِهِمْ ، فَأَسْرَعُوا لِإِقَاذِ
الْأَسِيرَيْنِ . وَلَكِنَّ سُرْعَتَهُمْ لَمْ تُغْنِ شَيْئًا فِي إِقَاذِ « كُرْدِلِيَا »
الطَّاهِرَةِ الْقَلْبِ ، الزَّكِيَّةِ النَّفْسِ ؛ فَقَدْ تَقَدَّ سَهْمُ الْقَضَاءِ - وَلَا مَرَدَّ
لَهُ - وَلَقِيتُ حَتْفَهَا (هَلَاكَهَا) مَصْلُوبَةً فِي السَّجَنِ ، قَبْلَ أَنْ
تُذَرِكَهَا أَيْدِي الرُّحَمَاءِ الْمُنْقِذِينَ

....

وَاسْتَوَى الذُّعْرُ وَالْخَبَالُ عَلَى الشَّيْخِ « لِير » ، حِينَ رَأَى مَا حَلَّ
بَابْنَتِهِ الْوَفِيَّةِ ، الَّتِي لَقِيتُ حَتْفَهَا فِي سَبِيلِ نَصْرَتِهِ ؛ فَحَمَلَ جُثَّتَهَا بَيْنَ
ذِرَاعَيْهِ ، وَهُوَ يُصَيِّحُ مُنَوِّثًا ، نَادِبًا :
« إِلَيَّ ، أَيُّهَا الْبَاكُونَ ! إِلَيَّ ، أَيُّهَا الْمُعْوِلُونَ (الصَّائِحُونَ بِالْبُكَاءِ) !
إِلَيَّ ، أَيُّهَا الْحِجَارَةُ وَالصُّخُورُ الَّتِي سُمِّيَتْ أَنْاسِيَّ (بَنِي آدَمَ) ! إِلَيَّ ،
فَاْمْرُجُوا بِدُمُوعِي دُمُوعَكُمْ ، وَصَيِّحُوا مَعِيَ كَمَا أُصَيِّحُ ، وَأَعْوِلُوا نَادِبِينَ
حَتَّى تَنْفِطَرَ (تَنْشَقَّ) السَّمَاءُ عَلَيْنَا حَزْنًا وَالْمَاءُ !



« لَقَدْ مَاتَتْ ، وَعَجَزْتُمْ عَنْ إِتْقَانِهَا جَمِيعًا ! فَمَا فَائِدَةُ الْحَيَاةِ
بَعْدَهَا ؟ وَاحْشَرْنَا عَلَى شَبَابِهَا النَّاصِر ! مَا كَانَ أَغْدَبَ صَوْتَهَا الرَّقِيقَ !
وَمَا كَانَ أَطْيَبَ قَلْبَهَا الشَّفِيقَ ! أَرَأَيْتُمْ أَزْكَى (أَطْهَرَ) مِنْهَا نَفْسًا ،
وَأَكْرَمَ خُلُقًا ؟ فَكَيْفَ امْتَدَّتْ إِلَى عُنُقِكَ يَدُ الْجَانِي الْأَيْمِ ! فَأَقْدَمَ
عَلَى صُلْبِكَ ، دُونَ أَنْ تَأْخُذَهُ - فِي شَبَابِكَ - رَحْمَةٌ ؟
لَقَدْ صَرَغْتَ قَاتِلَكَ بِالسَّيْفِ ، وَمَا تَشَفَّيْتُ مِنْ غَيْظِي ، وَلَا
بَرَدْتُ بِذَلِكَ غَلِيلِي (لَمْ أَشْفِ حَرَارَةَ حُرْنِي وَحِقْدِي) !
يَا لَهُمْ مِنْ أَثْمَةٍ طُنَاةٍ (مُجْرِمِينَ مُعْتَدِينَ) ! لَقَدْ خَنَقُوا « الْبُهْلُولَ »
فِي السَّجْنِ ، وَأَهْلَكُوهُ جَزَاءَ وَفَائِهِ لِي !
الْوَيْلُ لِلْجَانِيَيْنِ ! وَالْوَيْلُ لِلسَّفَّاحِينَ (الَّذِينَ أَسَالُوا الدَّمَاءَ) ! لَقَدْ
تَرَكَوا الْجُرْذَانَ (الْفِيرَانَ) وَغَيْرَهَا مِنْ دَوَابِّ الْأَرْضِ ، دُونَ أَنْ يَنْتَزِعُوا
أَرْوَاحَهَا مِنْهَا . وَلَكِنَّهُمْ ضَنُّوا (بَخِلُوا) عَلَى « كُرْدِيلَا » الْوَفِيِّ
الْمُخْلِصَةِ بِالْحَيَاةِ الَّتِي تَنْعَمُ بِهَا الْخَيْلُ وَالْكِلَابُ ! »

لَقَدْ مَاتَتْ ! أَلَا تُصَدِّقُونَ ؟
وَيْ ! هَلَكْتَ ! أَمْكَدْ بِي أَنْتُمْ ؟
أَنَا لَا أَجْهَلُ الْفَرْقَ بَيْنَ الْمَيِّتِ وَالْحَيِّ ! إِنَّهَا لَا تَنْبِسُ بِنْتِ
شَفَةِ (لَا تَلْفِظُ بِحَرْفٍ) ! لَقَدْ هَمَدَتْ ، فَمَا تُحِسُّ شَيْئًا ! هَاتُوا
مِرَآةً فَأَدْنُوها مِنْ فَمِهَا ! فَإِنْ طَبَعَتْ عَلَيْهَا نَفْسًا مِنْ أَتْقَاسِهَا ،
فَلَا تَشْفُوا بِي !
آه ! لَوْ بَقِيتُ سَالِمَةً إِلَى جَانِبِي ! إِذَنْ غَفَرْتُ كُلَّ مَا حَلَّ بِي مِنْ
أَحْدَاثٍ وَخُطُوبٍ !
إِذَنْ أَنْتَنِي السَّعَادَةُ - بِحَيَاتِهَا - كُلَّ مَا غَمَّرَنِي (مَا شَمَلَنِي)
مِنْ أَسْوَءِ (مُصَائِبٍ) وَأَحْزَانٍ !

٨ - لَوْعَةُ النَّاِكِلِ

وَحَاوَلَ خُلَصَاؤُهُ وَأَصْفِيَائُوهُ (أَصْدِقَاؤُهُ الْمُخْلِصُونَ) : « كُنْتُ ،
و « إِدْجَار » و « أَلْبَانِي » جَمِيعًا أَنْ يَهْوَنُوا عَلَيَّ مِنْ مُصَابِهِ وَفَجِيعَتِهِ ؛
فَصَبَحَ فِيهِمْ مُنْعُولًا ، وَقَدْ تَمَلَّكَهُ الدُّهُولُ :

مكتبة الكيلاني

مجموعاتها : تسائر التلميذ في نحو مائة وخمسين قصة ، رائعة الصور ، بديعة الإخراج ، متدرجة به من رياض الأطفال إلى ختام التعليم الثانوي . ثم نُسلّمه إلى مكتبة الكيلاني للكتاب .
مادتها : تقوم الخلق ، وتربّي الذهن ، وتعلّم الأدب .
فنها : يشوق القارئ ويمتعه ، ويحبّ الكتاب إليه .
لنتها : تسمى ملكة التعبير ، وتطبع اللسان على فصيح البيان .
نورة رشيدة ، أجمع على تأييدها وزراء المعارف وزعماء التعليم وفادة الرأي في الشرق ، وكبار المستشرقين وأعلام التربية في الغرب .
أول مكتبة عربية عيّنت بتنشئة الطفل على أحدث أسس التربية الصحيحة . توالى طبعاتها العربية ، فتشفت بها الجيل الجديد في بلاد المروبة ، ولم يخل منها بيت عربي .

ترجمت إلى أكثر اللغات الشرقية وبعض اللغات الغربية .
مدرسة حرة ، إذا عرفها التلميذ ، سعى إليها بلا ترغيب ولا ترهيب .
كانت أكبر أمنية للآباء ، وهي اليوم أشهى غذاء ثقافي للأبناء .

٩ - خاتمة « لير »

وهكذا استسلم الملك « لير » الحزين الشاكل (الذي قد ولده)
لآلامه . وما زال يهذي حتى أسلمه هذيانه إلى الجنون ، واسودت الدنيا
في عينيه ، وغمرت الأحزان قلبه ؛ فأظلم ، ثم أغشى عليه .
وأفاق لحظة قصيرة ، فالتفت إلى وزيره المخلص قائلاً :
« كنت : لقد عرفتك ! »

« كزديا » : لقد قدّتك إلى الأبد !
ثم أغشى عليه ثانية ، وأسلمته أخزانه إلى الردى ... فمات !

انتهت القصة